

معاملة الرب عبده ومعاملة العبد ربه عز وجل - بقلم : أمير الجيش الإسلامي في العراق

الفتنة عقوبة وابتلاء

ضياع الهوية الإسلامية .. الأسباب والنتائج

حوار د. ابراهيم يوسف الشمري مع صحيفة العرب

المقاومة العراقية وتأثيرها على السياسة الاعلامية الامريكية (٢)

http://www.iaisite.org





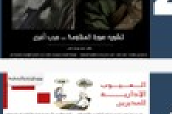


مجلة جهادية دورية تصدر عن الجيش الإسلامي في العراق

www.iaisite.org
www.alboraq.info

بسم الله الرحمن الرحيم

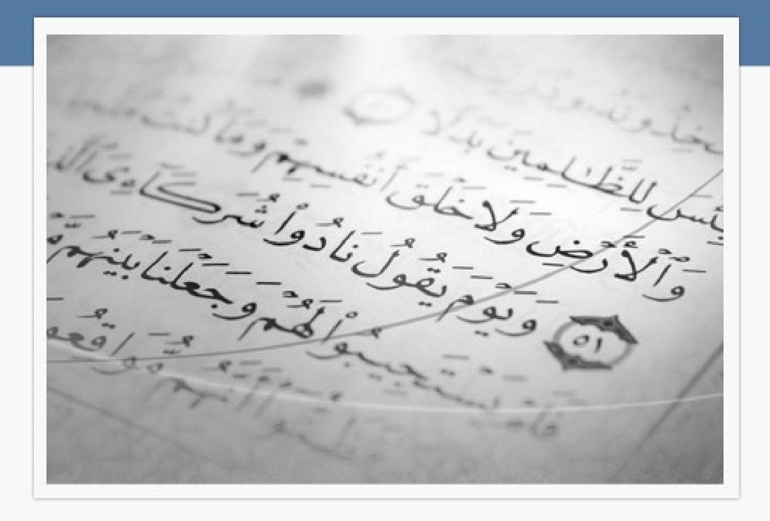
في هذا العدد





إصدارات الجيش الإسلامي في العراق
المتوفر الآن على مؤسسة البراق الإعلامية

alboraq.info



زَيّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أعمالهُمْ

رئيس التحرير

القرآن كتاب أنزله الله تعالى تبيانا لكل شيء، وما من عمل الا وله قواعده في هذا الكتاب الذي أنزله الله ولم يجعل له عوجا، ومنها اسس التعامل مع دعوات الاخرين، ومن تلكم القواعد انه ما من مشرك او منافق او صاحب بدعة او مجانب للحق، او مفارق للجماعة من غير مسوغ شرعي متكامل المقاصد، فهو متبع للشيطان خاضع لتزيينه فيرى عمله حسنا، وعلى ضوء ذلك يزين دعوته ويجمع له اولياءه وينال من المخالفين له ، يقول الله تعالى:

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) (الكهف:١٠٤) (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:١٢٢) (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال:٤٨) (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (فاطر:٨) (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ) (غافر:٣٧) (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (محمد:١٤) (كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (يونس:١٢)

(إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (التوبة:٣٧)

ومن هذه الايات المباركة نستنبط المبادئ الآتية:

- إنّ امتنا الإسلامية في عصورها جميعا ابتليت بمن زين الشيطان أعمالهم، وما اكثرهم، فاصحاب الضلالة والبدع، واعداء الدين والمنتهكون لحدود الله والمفسدون في البر والبحر، والمحاربون لشرع الله او المحرفون له، حملوا شعاراً، اتخذه ستاراً ليخدعوا الأمة، او سوق لهم إتباعهم من الأدعياء او ذوي الايادي الخفية واغدقوا عليهم من الألقاب وزينوا لهم من الأوصاف ما يبهرون به العامة والسطحيين والمتعالمين، فأُطلق عليهم قادة الفكر ورواد النهضة والمصلحون والمجددون، فقد قالوا عن والي مصر محمد علي ، بأنّه مؤسس النهضة في مصر، وراعي الاصلاح في العالم، فرد الشيخ محمد عبده: وما الذي صنعه محمد علي ؟ لم يستطع ان يحيي ولكن استطاع ان يميت. فكم مدعي الاصلاح والتجديد وهو مغبون مفتون.
- ان تزيين الشيطان له منافذ رئيسة ينفذ من خلالها الى اوليائه ، ابرزها: قلة العلم والمعرفة ، وسوء الخلق وضعف الوازع ، وغياب القادة الربانيين، فالتباس هذا الامر على الاخرين او ظهور أعمال من زينها لهم الشيطان تنشط عندما تقع الأمة في أزمات: أزمة في العلم، أو أزمة في الاخلاق، او أزمة في القيادة، وان اعظم الأزمات هو أزمة الاخلاق ولا سيما الكبر والتعالي ووقلة الورع وتعاظم النفس يقول الله تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّايُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً) (الأعراف/ ١٤٦) واما أزمة العلم والقيادة فأمرهما أيسر، وخطبهما أهون ؛فما أن تكشف الحقائق وتجلى الوقائع حتى يتنبه الغافل ويدرك الجاهل ويهتدي الضال ويستقيم المنحرف، فتظهر القيادة الصالحة.



• مـن التزيـين هـو التلاعب بالألفـاظ الشـرعية وتحريـف المفاهيم عن معانيهـا الحقة ودلالاتها الصحيحة، وتفريغها من مضمونها، بل يصل الامر الى ما علم من الدين بالضرورة، فقد روى اصحاب السـنن قول رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: (يشـرب ناس من أمـتي الخمر يسـمونها بغير اسمهـا، وفي رواية: ليستحلن طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها)، ولذا فكل عمل او دعوة (يصفهـا اصحابهـا بالشـرعية) فان العبرة فيهـا بالحقائق والمعانـي لا بالألفاظ والمبانـي، ومـا ذلـك إلا لأن الله تعـالى لم يحرم المحرمـات لمجرد أسمائهـا ؛ بل لما اشـتملت عليه من مفاسـد مضرة بالدنيا والدين، يقول ابـن قيم الجوزية (في إعـلام الموقعـين ١١٨/٣): (وأوجب تبديل الأسمـاء والصور تبـدل الأحكام، وإلا فسـدت الديانات وبدلت الشـرائع، واضمحل الإسلام. وأي شـيء نفع المشركين تسـميتُهم أصنامَهم آلهة، وليس فيها شـيء من صفات الإلهية وحقيقتها ؟ وأي شيء نفعهم تسمية الإشراك بالله تقرباً إلى الله ؟ وأي شيء نفع المعطلين لحقائق أسماء الله وصفاته تسـمية ذلك تنزيهاً)، ويقول الشـيخ محمد الابراهيمي: (إن ظلـم الكلمات بتغيـير دلالتها كظلم الأحياء بتشـويه خلقتهـم، كلاهما منكر، وكلاهمـا قبيـح، وإن هـذا النـوع مـن الظلـم يزيـد علـى القبح بأنــه تزوير للحقيقة،وتغليـط للتاريـخ، وتضليـل للسـامعين، ويـا ويلنا حـين نغتر بهذه الأسماء الخاطئة،ويا ويح تاريخنا إذا بُني على هذه المقدمات الكاذبة).

• في المجتمعـات والجماعـات الإسـلامية عـادة يأطـر الادعيـاء أعمالهـم ودعواتهم التي زينها الشيطان لهم بأطر إسلامية، كأن يتخذوا من الايات شعارا، ومن الشـعائر واجهات واستاراً، ومن بعض الصدق ديثاراً، والمعتبر في ذلك مراد المتكلم ومقاصـده، ولا يُكتفى بمجرد ظاهر هذه الأعمال والمواقف او ما يدركه مـن توجه اليه، فقد اتخذ ابو عامر المنافق المسجد ففضحه الله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَـذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْـراً وَتَفْرِيقاً بَـيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّـمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ مِـن قَبْـلُ وَلَيَحْلِفُـنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْـنَى وَاللَّهُ يَشْـهَدُ إِنَّهُـمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبـة:١٠٧)، يقول شـيخ الإسـلام ابن تيميـة في كتابه (درء تعـارض العقل والنقـل٢٩٧/١): فقد يكون المعنى صحيحاً ويمتنع من إطلاق اللفظ لما فيه من مفسدة، وقد يكون اللفظ مشروعاً ولكن المعنى الذي أراده المتكلم باطل كما قال علي - رضي الله عنه - لمن قال من الخوارج المارقين: (لا حكم إلا لله) (كلمة حق أريد بها باطل)، ويقول ابن القيم (في إعلام الموقعين ٣٠٥/١): (فالحقيقة تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافة تابعة لفهم السامع وإدراكه، وجودة فكره وقريحته، وصفاء ذهنه، ومعرفتـه بالألفـاظ ومراتبها، وهذه الدلالـة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السـامعين في ذلك)، ولم يكتف ابن القيم باعتبار مراد المتكلم ومقاصده فقـط، ولكن أضـاف أيضاً فهم السـامع وإدراكـه وأثره على اختـلاف المفاهيم للألفاظ والمصطلحات.

• ان عاقبة من اتخذ تزيين الشـيطان سـبيلا له ، تشـمل كل من وافقه او ارتضاه او صدقه ، لاسـيما لمن كانت له بصيرة ، او بلغته الحقيقة ، (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْـكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَـا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَـبِيلَ الرَّشَادِ) (غافر:٢٩) ، (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) (الزخرف:٥٤) ، ولا تكون النجاة الا بالرجوع عن الغي واظهار الحقيقة، وإتباع سبيل المؤمنين، لاسيما ان الشيطان نفسه أقر بضعف تزيينه امام قدرة الله، فتخلى عن اوليائه بعد انكشاف الحقائق .

• إنّ مواجهـة التزيـين الشـيطاني يكـون بإعتماد المفاهيـم والاحكام او اجتنابها ما دامت محكمة، ولذا حذر لله سبحانه من كل عمل او دعوة فضفاضة او فيها شـبهة او ضبابية تحتمل اكثر من دلالة، يقـول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا) (البقرة/ ١٠٤)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسـلم: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الخير طمأنينة والشر ريبة) رواه الترمذي.

وهكـذا فـإن التصحيـح والتجديـد أساسـه إتبـاع الشـريعة وإمتثالها لا تجاوزها وإغفالها.
والتصحيح والتجديد أصله الصدق والأمانة لا الكذب والإفتراء والخيانة.
والتصحيـح والتجديـد مقصده الإجتمـاع وحفظ الجماعـة لا تمزيقها وتفريقها.
والتصحيـح والتجديـد غايتـه أمـر الأمـة والجماعة لا حظـوظ النفس ورغباتها.

وفي سنن ابي داود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) .

ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

بيان رقم ٥٨-٥٩ لعام ١٤٣١ هجرية – لسنة ٢٠١٠ م

{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ}

الحمد لله رب العالمين القوي العزيز وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبي الهدى نبي الملحمة ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد ..

بعد التوكل على الله وبعون منه فقد تكبد العدو الخسائر التالية للفترة من ١-٧ ولغاية ٣١-٨ – ٢٠١٠ م .

١. بلغت خسائر العدو الأمريكي والقوات المهاجمة معه والساندة له (المتجحفلة) بالأشخاص و الآليات كما يلي:
   - إحراق وتدمير و إعطاب وإلحاق أضرار بـ (١٠) آليات مع قتل وجرح طواقمها، موزعة كالتالي:
     (٣ همر و ١مدرعة و٥ آلية لنقل الجنود و١ كاسحة ألغام) .
   - بلغت خسائر العدو الأمريكي بالأفراد (٣٠) جندي تم قتله وذلك بحساب الحد الأدنى لأفراد العدو في الآليات المدمرة .
٢. مجموع العمليات لحرب العصابات المنظمة والقتالات الخاصة (٣)،والاشتباكات مع الأمريكان والقوات المتعاونة معه (٤)، وعمليات القنص (٣)، وتم تنفيذ رميات منسقة ليلية ومباغتة لمفارز الصواريخ والإسناد الناري (١٠)رمية، ورمي الهاونات (٨) رمية، و بذلك يصبح المجموع الكلي (٣٨) عملية .
٣. تم إطلاق (١٨)صاروخ على مقرات العدو الأمريكي والمتعاونين معه ، موزعة كالتالي: ٤كاتيوشا و ٧ C5K و١ C8 .و ٤ كراد و٢ جوشن .
٤. تم رمي (٦) رمانة حرارية RKG3 على العدو الأمريكي.



والحمد لله رب العالمين

الله اكبر والعزة لله ..

القيادة العسكرية

للجيش الإسلامي في العراق

٢٣ ذي القعدة ١٤٣١ هـ

٣١-١٠-٢٠١٠ م



الحصاد العسكري

لشهري 9+10

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان رقم ٦٠-٦١ لعام ١٤٣١ هجرية – لسنة ٢٠١٠ م

{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ}

الحمد لله رب العالمين القوي العزيز وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبي الهدى نبي الملحمة ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد ..

بعد التوكل على الله وبعون منه فقد تكبد العدو الخسائر التالية للفترة من ١-٩ ولغاية ٣١-١٠ – ٢٠١٠ م .

١- بلغت خسائر العدو الأمريكي والقوات المهاجمة معه والمساندة له (المتجحفلة) بالأشخاص و الآليات كما يلي :

- إحراق وتدمير و إعطاب وإلحاق أضرار بـ (١٨) آليات مع قتل وجرح طواقمها، موزعة كالتالي: (٧ همر و٢ مدرعة و ٦ آلية لنقل الجنود و٣ كاسحة ألغام) .

- بلغت خسائر العدو الأمريكي بالأفراد (٥٤) جندي تم قتله وذلك بحساب الحد الأدنى لأفراد العدو في الآليات المدمرة.

٢- مجموع العمليات لحرب العصابات المنظمة والقتالات الخاصة (٤)، والاشتباكات مع الأمريكان والقوات المتعاونة معه (٦)، وعمليات القنص (٥)، وتم تنفيذ رميات منسقة ليلية ومباغتة لمفارز الصواريخ والإسناد الناري (١٥)رمية، ورمي الهاونات (١٤) رمية، وبذلك يصبح المجموع الكلي (٦٢) عملية .

٣- تم إطلاق (٢٨) صاروخ على مقرات العدو الأمريكي والمتعاونين معه ، موزعة كالتالي: ٦ كاتيوشا، و ١٠ C5K و٦ C8 و ٤كراد و ٢ جوشن .

٤- تم رمي (١٢) رمانة حرارية RKG3 على العدو الأمريكي.

والحمد لله رب العالمين

الله اكبر والعزة لله ..

القيادة العسكرية

للجيش الإسلامي في العراق

٤ ذي الحجة ١٤٣١ هـ

١٠-١١-٢٠١٠ م

الشيخ المجاهد أمير الجيش الإسلامي في العراق/ رسالة إلى أمة القرآن وحملة أهل القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا وصلى الله على المبعوث شاهدا ومبشرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

إلى الأمةِ الإسلاميةِ جميعا، أمةِ القرآنِ العظيم،

إلى علمائِها ودعاتِها،

إلى عقلائِها ومفكريها،

إلى الأبرارِ والأخيارِ فيها،

إلى مجاهديها الذين قال الله فيهم: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ)

نهنئكم جميعا بحلول عيد الفطر المبارك، تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال وغفر لنا ولكم إنه هو الغفور الرحيم وأعاده على الأمة بالنصر والتمكين والخير والبركة.

وإنه لمن الدواهيَ التي تنغص على الأمة هذه المناسبة الكريمة اعتزام الكنيسة المعمدانية الأمريكية في فلوريدا حرق نسخ من المصحف الشريف في ٩/١١ ، وقد قصدوا أن يكون توقيت إعلانهم عن ذلك (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) على مرأى ومسمعٍ من العالم كلِّه عدوانا على شعائر الأمة ومشاعرها، ليثبتوا أنَّ حضارتَهم حقارةٌ وأنَّ ثقافتَهم سفاهةٌ وتفاهة .

تكادُ تسقطُ من أفعالِكمْ غضباً ****** هذي السماءُ وتخبوا منكمُ الشهبُ

والجوّ يُظلِمُ مما تصنعون فيا ****** ويحَ الحضارةِ إذا ما صانَها الأدبُ

لقد كان العدوانُ ومنذ البدايةِ يستهدفُ القرآنَ وأهلَه والمساجدَ وأهلَها، ومنذ اللحظةِ الأولى، مزّقوا المصاحفَ وقصفوا المساجدَ، ولم يكتفوا بشنِ الحروبِ المتتاليةِ بأكاذيب باطلة، وحيلٍ مفضوحة، يصرحونَ بين الحينِ والآخرِ بالحربِ الصليبية، فإن استنكرَ بعضُ الناسِ قالوا وهم يسخرون وفي طغيانهم يعمهون: إنما هي زلة.

إن الإقدام على مثل هذه الأفعال الشنيعة سيكون دافعا قويا لأهل الإيمان وحملة القرآن في كل مكان للذود عن كتاب رب العالمين، كما حصل هذا في مرات سابقة قام الأعداء بالنيل من القرآن أو من النبي عليه الصلاة والسلام.

أيها المسلمون:

إن الذي ينوي أعداؤُكم حرقه هو عزّكم ومجدُكم قال تعالى: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) القرآنُ الكريم الأكملُ الأجملُ الأنبلُ، يخاطب النفسَ فتخشع، والقلبَ فيخضع، والروحَ فتقنع، والأذُنَ فتسمع، والعينَ فتدمع، ولو نزل على صخرٍ لتصدع (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) أفحمَ الخطباءَ، وأخرسَ الفصحاءَ، وأسكتَ الشعراءَ، وأدهشَ الأذكياءَ (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ).

فيا أيها الأمجادُ الأنجاد:

لا تكن غضبتُكم مظاهراتٍ لامتصاصِ الغضبِ أو بياناتٍ مجردة، فإن الأمريكانَ متغطرسون سادرون في غيِّهم، كلَّ لغةٍ يتجاهلونَها وكلَّ وسيلةٍ للخيرِ ينكرونَها، لا ينفع معهم إلا النارُ والحديدُ.

يا حملةَ الأقلامِ، ويا رجالَ الإعلام:

بدلا من تلقف الأكاذيب وترويجها من دون تثبت أو مهنية علموا الناسَ بوسائلِكم: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) وقوله صلى الله عليه وسلم: [خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ] رواه البخاري عَنْ عُثْمَانَ رضى الله عنه.

أيها المجاهدون في العالم كافة، وفي العراق خاصة، يا من بذلتم النفسَ والنفيسَ وكسرتم أعتى خميس ونصركم اللهُ في مواطنَ كثيرةٍ، أسمِعوا العالمَ غضبتَكم وأروهم ثأرَكم لكتابِ ربكم، والسلاحُ بأيديكم؟ وليسمعْ منكم عبادُ الصليبِ غضبةً إسلاميةً يَصَمّ دويُها آذانَهم، وتَشُلّ بها أركانُهم، وإن الأمةَ تُجهزُ الجيوشَ وتبذلُ المهجَ والنفوسَ لإنقاذ امرأةٍ!! فكيفَ إذا كان المعتدى عليه هو كتابُ اللهِ العزيزِ فاجعلوها صرخةً مدويةً "يالثاراتِ القرآنِ" وإن الأبطال الغيارى قد أعدوا العدة للرد على هذا العمل الشنيع ليجمعوا بين تلاوة القرآن والعمل به ونصرته.

أمة القرآن:

لما كان للصائم فرحتان وقد اجتمع في هذا اليوم عيدان فقد استوجب أمران:

الأول: تهديكم جماعة الجيش الإسلامي إصدارها المرئي "المهمة مستمرة" الذي يوثق الإنجازات العسكرية للجماعة خلال سبع سنين من مناجزة الأعداء.

الثاني: نعلن إطلاق (حملة أهل القرآن للرد على عباد الصلبان) وندعو إلى تكثيف العمليات العسكرية على قوات الاحتلال الأمريكية في العراق، ولتخسأ الكنيسة وليخسأ الحاقدون.

يا سُيوفَ الأمةِ:

إدفعوا على ذويّ القرآنِ نفوسَكم، واسكُبوا للذب عنه دماءَكم، واللهُ معكم وهو ناصرُكم ولن يترَكم أعمالَكم، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

اللهم انصر الحق وأهله واخذل الباطل وجنده، واحفظ كتابك ونبيك ودينك من عبث العابثين وكيد الكائدين والله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أمير الجيش الإسلامي في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

التقرير السياسي للجيش الاسلامي في العراق
لشهري شوال وذي القعدة ١٤٣١

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه : اما بعد
فهذه مواقف سياسية للجيش الاسلامي في العراق ازاء ابرز القضايا التي شهدتها الساحة العراقية خلال شهري شوال وذي القعدة المحرم.

وثائق ويكيليكس والدور القادم

إنّه لمن المؤسف ان ادراك الحقائق لا يكون الا بعد سيل من الدماء والانتهاكات التي طالت ابناء العراق جميعا ، الصغار والكبار ، الرجال والنساء، والمرضى والعجزة.
ان ما عرضه موقع ويكيليكس من وثائق التي تجاوزت ٤٠٠ ألف وثيقة، تتعلق بالجرائم التي ارتكبتها قوات الاحتلال والحكومات الموالية له في العراق ، لا يمثل الا جزءا يسيرا من الحقيقة، ونحن اذ نحيي هذا الجهد الاعلامي المتميز، فاننا نؤكد الاتي:
يجب ان لا يصرفنا التعاطي الايجابي مع الوثائق عن الحقيقة الكبرى المتمثلة بالجريمة الكبرى وهي احتلال العراق، وانه المسؤول الاول والمباشر عن كل الجرائم المادية والمعنوية التي حدثت في العراق والمنطقة ، على ان ذلك لا يلغي مسؤولية الجهات المنفذة لها ايضا.
ومن الحقائق التي يجب عدم اغفالها ان المقاومة التي انطلقت في العراق كانت اول من كشف جرائم الاحتلال، وانها كانت السبيل الامثل لوقف المزيد من جرائم الاحتلال واعوانه، وان هذه المقاومة دافعت عن الابرياء من ابناء شعبها لان من سياساتها: إن أعمال المجاهدين العسكرية تستهدف المحتلين وعملاءهم ولا تستهدف الأبرياء والمستضعفين الذين من أهداف الجهاد نصرتهم ودفع الظلم عنهم وتهيئة الحياة الكريمة لهم.
حرصت المقاومة العراقية في برنامجها السياسي ومطالبها في التفاوض على نيل ابناء الشعب العراقي حقوقهم كاملة والزام المحتلين تعويضهم عن كل ما لحق بهم من ضرر مادي او معنوي جراء الاحتلال واثاره.
اذا كان موقع ويكيليكس قد ادى واجبه الاعلامي في نشر الوثائق ، فان الواجب المتحتم الان يتمثل بالخطوات الاجرائية الاتية:

- اطلاق الحملات الاعلامية المتواصلة للتفاعل عما جاء في هذه الوثائق بشتى الفنون الصحفية والاعلانية والفعاليات الجماهيرية.

- اطلاق حملات قانونية وقضائية لحشد الادلة على جرّ مجرمي الحرب الى المحاكم الدولية، ودعم ضحايا الاحتلال -لاسيما من اصبحت عنده وثيقة- باقامة دعاوى قضائية ضد مجرمي الحرب لاستحصال حقوقهم كاملة.

- على المجتمع الدولي والعربي لاسيما الامم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، ان تتحمل مسؤوليتها القانونية والاخلاقية والانسانية في الاخذ بنظر الاعتبار ما جاء في هذه الوثائق وتحديد موقفها الصريح والحازم من المجرمين الذين اثبتت هذه الوثائق ارتكابهم جرائم بحق الشعب العراقي.

- على القوى المقاومة والمناهضة للاحتلال العمل الجاد على تهيئة حزمة من الوثائق التي لديها عن جرائم الاحتلال لتكون مبادرة في هذا الامر ايضا، فان الحق لا يظهر لوحده وانما لا بد له من جهد اعلامي ينشره ويدعمه، وعلى وسائل الاعلام التجاوب في ذلك.

المبادرة السعودية وواجب الامة

في عام ٢٠٠٥ عقد في مقر جامعة الدول العربية مؤتمر الوفاق العراقي الذي ضم القوى المناهضة للاحتلال والموالية له ، وخرج المؤتمر بقرارات سرعان ما نقضها ساسة الاحتلال واذنابه، ولم يستطع المؤتمر الثاني في عام ٢٠٠٦ ان يكمل مسيرته فاجهض ميتا قبل ولادته.

واليوم تأتي المبادرة السعودية تحت مظلة جامعة الدول العربية لحلحلة الوضع السياسي في العراق.

وازائها نبين الاتي:

اننا نرحب باي دعم عربي واسلامي ايجابي لمعالجة الشأن العراقي، التزاما منهم بكون العراق جزءا هاما من العالمين العربي والاسلامي.

ان اغفال القوى المقاومة للاحتلال من اي مبادرة فان مصيرها بلا شك الفشل ، وان الاستحقاق الواجب على الدول العربية والاسلامية هو دعم المشروع المقاوم في العراق لوقف مشاريع الاحتلال والنفوذ الاجنبي في العراق ، وان التذرع بتعدد واجهات المقاومة هو حجة على هذه الدول، فانها لو بادرت بالدعم مبكرا وحتى لاحقا لاثر ذلك ايجابيا في وحدة المشروع المقاوم والمناهض للاحتلال ، ولا ننسى الجهود التي بذلتها دولتان فاسفرت عن دعم تشكيل المجلس السياسي للمقاومة العراقية.

ان دعم المشروع السياسي المسخ وناقص الشرعية في العراق سيمكن القوى الطائفية والموالية لايران من التمادي بمشاريعها الدموية والاقصائية تجاه ابناء العراق الاصلاء.

عدم الانخداع بمواقف امريكا في ذلك فان امريكا كما يقول امير الجيش الاسلامي في رسالته الى الحكام العرب: لا تظهر جدية في إضعاف دور إيران السلبي في العراق والمنطقة، الذي يهدف إلى تمكين حكومة الاحتلال الصفوية وبسط هيمنتها، وقد مثل حفظه الله بالسفارات العربية التي افتتحت في بغداد فلم تمنحها الادارة الامريكية والحكومات فرصة حقيقية للقيام بأي دور إيجابي وإيجاد تفاهم عراقي وتحقيق المصالح المشتركة، لاسيما ان هذه السفارات لا تملك أية مشاريع! ولا تملك الشجاعة لتنفيذها إن وجدت، أما السفارة الإيرانية فمشروعها واضح ونفوذها فاضح تتدخل في كل قضية، وتشرف على كل خطوة سياسية وامنية واقتصادية .

نحن واثقون من عدم التجاوب السياسي من قبل بعض القوى، ولذا ينبغي على الدول العربية كما جاء على لسان امير الجيش الاسلامي في العراق: لا سيما دول الخليج العربي ومصر والأردن تشكيل حلف وثيق مع تركيا يرافقه تفاهم وتعاون لا بد منه مع سوريا يقف بوجه احتلال إيران للعراق ويضعف نفوذها في المنطقة ويضغط على أمريكا، وهذا لا يحصل إلا بالاعتماد على الله ثم استخدام القدرات الذاتية وعدم الوثوق بالأعداء وخاصة أمريكا فإن تفاهمها مع إيران مرشح للزيادة في ظل إدارة اوباما، ولن يكلل هذا العمل بالنجاح إلا بالتفاهم مع الممثل الشرعي للبلد؛ وهم فصائل المقاومة وأنصارها وقوى الممانعة وعلى رأسها المجلس السياسي للمقاومة العراقية لوضع الأمور في نصابها لتحقيق الآمال المشروعة وإجهاض أي خطوة سياسية تعطي الشرعية للاحتلال أو تمنحه الفرصة لتحقيق أهدافه أو تنفيذ مخططاته.

وذلك من خلال الاتي:

احتضان المقاومة العراقية ودعمها بكل الوسائل السياسية والمادية والإعلامية.

دعم الشخصيات المؤهلة لقيادة العراق، وعدم التعويل على الأدعياء.

الإعانة على بلورة موقف سني موحد، فإن إخفاق الموقف السني أو ارتباكه، سيجعل من الصفويين المستفيد الأكبر لاستكمال سياستهم الإقصائية الإجرامية.

المسارعة في الدعم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لابناء القوى المناهضة للاحتلال.

رفض عقد مؤتمر القمة العربية القادم في بغداد المحتلة، لانه يمثل دعما لمشروع الاحتلال الامريكي والحكومة الطائفية الاقصائية، ونحن ملزمون بافشاله.

سياسة الخطف والتفجير

مرت بغداد وبعض المحافظات العراقية بسلسلة من العمليات الاجرامية يأتي في مقدمتها حادثة كنيسة سيدة النجاة في منطقة الكرادة والتفجيرات الدموية وعمليات النهب والقتل لمحلات صاغة الذهب.

والجيش الاسلامي في العراق اذ يستنكر هذه الحوادث وكل الجرائم التي تستهدف الابرياء من ابناء شعبنا بجميع اطيافه،

فاننا نؤكد الاتي:

ان هذه الجرائم تتحمل مسؤوليتها بالدرجة الاولى قوات الاحتلال والقوى المساندة له والمنفذة لمشاريعه ، يقول امير الجيش الاسلامي حفظه الله : إن الحرب الإجرامية التي سماها بوش حربا صليبية تطال اليوم كل الأديان والطوائف والأعراق في العراق بما فيهم النصارى، وإن ما جرى ويجري في العراق من مظالم بشعة واعتداءات متنوعة ما هي إلا أثر من آثار الاحتلال الظالم الذي أحرق الأخضر واليابس وخلط الأوراق وبعثر الشركاء ودعثر الفرقاء ونهب الثروات وأزهق الأرواح وهتك الأعراض ونشر الرعب وسط الآمنين والخوف بين الساكنين وتفنن في الطغيان وانتهاك حقوق الإنسان.

ان البصمة السياسية لهذه التفجيرات والاعمال الاجرامية اصبحت جلية ، اذ بات من المعتاد ان تأخر تشكيل الحكومة في العراق لا بد له من اعمال اجرامية تستخدم كوسائل ضغط على الفرقاء في العملية السياسية للقبول بالامر الواقع.

ان هذه الاعمال جاءت لصرف الانظار عما نشره موقع ويكيليكس من وثائق طالت عددا كبيرا من الشخصيات والاحزاب والميليشيات المسلحة المتنفذة في العراق.

على ابناء شعبنا ان يدركوا جميعا طبيعة المشاريع التي تسعى الى التحكم بهم ، والى جعلهم طعما لتغذية نفوذها ، وقد اثبتت الوقائع تورط الاجهزة الامنية والاسايش في هذه الجرائم، وما اعقبه من انتشار واستعراض لميليشيا جيش المهدي في حي العامل، واغتيال لإمام احد مساجد الدورة.

ان الشعب اذا اراد الحياة الكريمة فعليه ان يكون في ركب الاحرار المقاومين للاحتلال واذنابه، والمناهضين لمشاريعه، والذين يؤمنون بان: العدل حق مكفول لجميع الناس بلا استثناء، وأن إقامة الحق والعدل من أهم أهدافهم ولا يرضون لأي طرف كان استغلال المنصب الرسمي لمصالح عرقية أو فئوية على حساب الحق والعدل الذي أمر الله به.

اننا نعد ابناء شعبنا ببذل اقصى الجهود لحمايتهم والدفاع عنهم ، ونحذر في الوقت نفسه اي ميليشيا مسلحة تريد العبث بابناء شعبنا الاصلاء ، وانا لهم بالمرصاد.

اللهم افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

المكتب السياسي

للجيش الاسلامي في العراق

٣ ذي الحجة ١٤٣١هـ

٩-١١-٢٠١٠ م





معاملة الرب عبده ومعاملة العبد ربه عز وجل

بقلم : أمير الجيش الإسلامي في العراق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:-

فيا أيها المسلمون:

في الصحيحين واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: [لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ].

وفي البخاري عَنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: [تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ].

وكل هذا جزء من معاملة الله عز وجل لعباده. يعصون فيرزق ويطيعون فيشكر، يتودد إلى عبادة بالنول والطول، ويحفظهم بالنعم ويجنبهم النقم، (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)، (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)، (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ)، وقال سبحانه: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً)، وقال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ)، (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)، وقال عز وجل: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً)، وقال سبحانه: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)، وقال: (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً).

تلك معاملة الرب لعبده فكيف يعامل العبد ربه؟

على العبد أن يسير إلى ربه على سكتي الخوف والرجاء محبا حامدا شاكرا مطيعا، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)، وقال: (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ)، وقال تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ). في البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضى الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: [الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ]. وفي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: [لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ]، وفيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: [إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا

هـون علينا ترك الطاعات، ونرى المعصية فلا نبالي ونرى المنكر فلا ننكر، ولا نأتي الوسائل ولو كانت ممكنة ميسورة.

إن أهل الجنة يصفون حالهم: (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ).

يقول إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ).

في الصحيحين عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: [سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ].

وفي المسند والترمذي والنسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِى الضَّرْعِ وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ]. صحيح الجامع (٧٧٧٤)

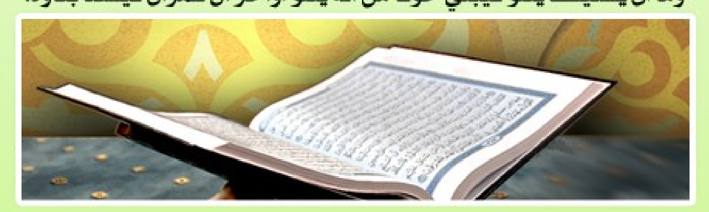
في الصحيحين عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: [أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ]. هذا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام فهو إمام الخاشعين وقدوة المتقين.

في المسند والترمذي عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ]. صحيح الجامع (٧٨٦٣)، وكان إذا صلى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل وصوت كصوت الرحل، وبكاء ونشيج،

لما أتتك قم الليل استجبت لها | العين تغفو وأما القلب لم ينم
تمشي تناجي الذي أولاك نعمته | حتى تغلغلت الأورام في القدم
أزيز صدرك في جوف الظلام سرى | ودمع عينك مثل الهاطل القمم
الليل تسهره بالوحي تعمره | وشيبتك هود آية استقم

في المسند والنسائي قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو فِي صلاته يقول: [اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الإِخْلاَصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ] صحيح الجامع (١٣٠١)

في ابن ماجة عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةٍ فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ: [يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا]. صحيح الجامع (٧٨٤٤) نفس خاشعة وعين واطفة،يستيقظ في الليل وما أن يستيقظ يتلو فيبكي خوفاً من الله يتلو أواخر آل عمران فيشتد بكاؤه،



في الصحيحين أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِى السَّمَاءِ ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ فِى آلِ عِمْرَانَ (إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) حَتَّى بَلَغَ (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ثُمَّ اضْطَجَعَ ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى.

وكان عليه الصلاة والسلام يتدبر القرآن عامة وأواخر آل عمران خاصة حتى بلغ في ذلك مبلغاً عظيماً، في صحيح ابن حبان بإسناد جيد قال عبيد بن عمير لعائشة رضي الله عنهم: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ فَسَكَتَتْ وبكت وقالت: كلُّ أمره كان عجبا، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: [يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي]، قُلْتُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا يَسُرُّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: وَكَانَ جَالِسًا فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ، فَجَاءَ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: [أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ)] السلسلة الصحيحة (١/١٤٧) ح (٦٨)

لقد كان عليه الصلاة والسلام يزرع الخوف في نفوس الصحابة لعلمه بحسن عاقبة الخاشعين، وعظيم كرامة المشفقين، في المسند والترمذي وابن ماجة عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ]، قال أبو ذر: والله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ. السلسلة الصحيحة (٤/٢٩٩) ح (١٧٢٢)

في الصحيحين واللفظ لمسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَصْحَابِهِ شَىْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: [عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا]، قَالَ فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا.

هـذا أبو بكـر رضي الله عنه: رَجُلٌ أَسِيفٌ بَكَّاء، إذا صلى يَبْكِي فَلاَ يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ، أو تكاد لا تفهم قراءته من كثرة بكائه، والفاروق رضي الله عنه كان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء، يخاف الله ويخوف نفسه بالله، ويخوف ولاته والمسلمين بالله، ويبحث عمن يخاف الله، ويقول: يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسياً.

بكى عمر الفاروق خوفا وخشية | وقد كان في الأرض الإمام المثالي
وقال بصوت الحزن يا ليت إنني | نجوت كفافا لا علي ولا ليا

في المسند والترمذي وابن ماجة كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: [إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ]. قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ]. صحيح الجامع (٥٦٢٣)

وكان علي رضي الله عنه إذا أرخى الليل سدوفه وغارت نجومه، يقوم في محرابه قابضاً على لحيته يتملل تملل الملدوغ ويبكي بكاء الحزين، وينادي يا ربنا آه آه من قلة الزاد وبعد السير ووحشة الطريق.

وعائشة وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف والصحابة والتابعون حالهم مضرب الأمثال يقول الفضيل رحمه الله: رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة.

إن هذا الخوف هو الذي يقود إلى الجنة ويحفز على فعل الطاعات ويمنع من فعل المعاصي، ويسعد القلوب ويخلص الإنسان من النار والعذاب، وهو علامة من علامات الإيمان، (وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).

القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى مات الرأس مات الطائر، وإذا استوى الجناحان استوى الطير وتم الطيران، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وحل فيه الخلل، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر حتى يصير في عداد الموتى.

قال بعض السلف: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب والرجاء حادٍ والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال، لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أصفيها وأحرزها وأنا بالآفات معروف، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف؟ إلهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاؤك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





والرجاء هو الجناح الثاني:

فهو يحدو بالقلوب إلى بلاد المحبوب ويطيب السير إلى العزيز القدير، هو طمع في كرم الكريم وأمل في رحمة الرحيم، وثقة في فضل صاحب الفضل العظيم، اعتراف بجميل عفوه، وتعلق بإحسانه لنيل واسع مغفرته، ولولا روح الرجاء ما تحركت الجوارح بالطاعة، ولما ترنمت الألسنة بالدعاء ولما فاحت القلوب بالثناء.

الرجاء دليل محبة الله وهو حياة للقلوب ونور للعيون وجلاء للأبصار، لكنه لا يجوز أن ينفك عن الخوف حال العمل، فإذا انقطعت الأسباب، وعجز الإنسان عن العمل، وكلت الجوارح وحضر الموت، لم يبق إلا الرجاء، في مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِىِّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: [لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ].

يقول الله تعالى: (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ).

وفي الرجاء -عباد الله- إظهار العبودية والطاعة والحاجة إلى من ترجوه وتترقب إحسانه وغفرانه، والرجاء يطرحك على سواحل محبة الله وكلما رجوت الله أكثر أحببته أكثر وشكرته أكثر ورضيت عنه أكثر.

إلهي لا تعذبني فإني	مقر بالذي قد كان مني
ومالي حيلة إلا رجائي وعفوك	إن غفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في البرايا	وأنت علي ذو فضل ومن
إذا فكرت في ندمي عليها	عضضت أناملي وقرعت سني
يظن الناس بي خيراً وإني	لشر الناس إن لم تعف عني
أجن بزهر الدنيا جنوباً	وأفني العمر فيها بالتمني
ولو أني صدقت الزهد فيها	قلبت لأهلها ظهر المجن





فقه الموازنات أو فقه الأولويات

بقلم : أمير الجيش الإسلامي في العراق

الحمـد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على نبينا محمـد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فـإن موضوع الموازنة بين المصالح والمفاسـد أو فقـه الأولويات مَعلم عظيم من معـالم ديننـا الحنيف، وهـو ثابت في الكتاب والسـنة وقد كان هـذا العلم رائد الصحابـة، وعلمـاء الأمـة، فمـا كان أحدهم يفـتي إلا وهو يوازن بـين المصالح لتحقيق مراد الله، وهو أعظم مصلحة يبتغيها الإنسان.

تعريف الموازنـة: لبيـان معنى الموازنة لا بد من التطرق لبيان معنى التعارض والترجيح لارتباط بعضها ببعض. وقد أشار إلى هذا العز بن عبد السلام بقوله (قواعـد الأحـكام ٩٨): قاعـدة في الموازنة بـين المصالح والمفاسـد، إذا تعارضت مصلحتان، وتعذر جمعهما، فإن علم رجحان إحداهما قدمت. أهـ

تعـارض المصـالح: هو تقابـل المصالح على وجه يمنـع العمـلُ بإحداهما العملَ بالأخرى.

فالموازنـة بين المصالح: هي المفاضلة بين المصالح المتعارضة والمتزاحمة لتقديم الأولى بالتقديم منها، وتتضمن الموازنة ثلاثة أمور:

الأول: الموازنة بين المصالح والمفاسد .

الثاني: الموازنة بين المصالح بعضها وبعض.

الثالث: الموازنة بين المفاسد بعضها وبعض.

أدلة مبدأ الموازنة

مبـدأ الموازنة بين المصالح في الشـريعة الإسـلامية له أدلة كثـيرة ومنها :قصة موسى عليه الصلاة والسلام في سورة الكهف مع العبد الصالح، قال تعالى حكاية عـن الرجل الصالح: أَمَّا السَّـفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْـرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَـا وَكَانَ وَرَاءَهُـمْ مَلِـكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَـفِينَةٍ غَصْبـاً وَأَمَّا الْغُلَامُ فَـكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْـرَبَ رُحْمـاً . وقـال تعـالى: يَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِـرِ قُـلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وفي البخاري أن أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَـامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَـالَ فِي الْمَسْـجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّـاسُ، فَقَالَ لَهُمْ النَّـبِيُّ صلى الله عليه وسـلم: [دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّـرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّـرِينَ. قال النووي (شرح مسـلم ١٩٤/٢): وفيه دفع أعظـم الضررين باحتمـال أخفهما، لقوله صلـى الله عليه وسـلم: دعوه، قال العلماء: وهـذا لمصلحتـين إحداهمـا أنـه لـو قطـع عليـه بوله تضـرر، وأصل التنجيس قد حصل فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به، والثانية: أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابـه وبدنـه ومواضـع كثيرة من المسـجد. أهـ وقـال ابن حجر (فتـح الباري ٥٩٥/١): لم ينكـر النـبي على الصحابـة، ولم يقل لهم لم نهيتـم الأعرابي؟ بل أمرهـم بالكف عنـه للمصلحة الراجحة، وهو دفع أعظم المفسـدتين باحتمال أيسـرهما، وتحصيل أعظم المصلحتـين بترك أيسـرهما. أهـ في الصحيحين عَنْ عَائِشَـةَ قَالَتْ سَـأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسـلم عَنِ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: [نَعَمْ] قُلْتُ فَلِمَ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: [إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ] قُلْتُ فَمَا شَـأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ:[فَعَلَ ذَلِكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَـاءُوا وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ لَنَظَـرْتُ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْزِقَ بَابَـهُ بِالأَرْضِ] وترجم له البخاري (الفتح ٤٢١/١) :باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشـد منـه. قال ابن حجر (الفتـح٤٢٢/١):وفي الحديث معنى ما ترجم له، لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً، فخشي صلى الله عليه وسلم أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غير بنائها ليتفرد بالفخر عليهم في ذلـك، ويسـتفاد منه ترك المصلحة لأمـن الوقوع في المفسـدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشـية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرما. وقال النووي (شـرح مسـلم٤٢١/٥): في هذا الحديـث دليـل لقواعد من الأحـكام منهـا: إذا تعارضت المصالح، أو تعارضت

مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً فتركها صلى الله عليه وسلم. قال الزركشي (المنثور في القواعد ٣٤٨/١): قاعدة (تعارض المفسدتين) قال ابن عبد السلام: أجمعوا على دفع العظمى في ارتكاب الدنيا.

تفاوت المصالح شرعاً

لقد امتهد أن المصالح متفاوتة وأن بعضها أهم من بعض، وأن المفاسد متفاوتة وأن بعضها أسوء من بعض، ومن ذلك: إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما أرسله داعياً إلى اليمن أن يبدأ بالأهم فالمهم وهو في الصحيحين وفيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: [أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ] قُلْتُ إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: [وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ] قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: [أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ].

تقسيمات المصالح

الموازنة بين المصالح تعتمد أساساً على إيجاد مرجح في إحدى المصلحتين يجعل كفتها تميل عند مقارنتها من حيث الأهمية والأثر واعتبار الشارع، وغيره من موازين الترجيح على المصلحة المقابلة والمزاحمة، ويؤخذ من كلام العلماء أنه يمكن تقسيم المصالح باعتبارات عدة، ومن ذلك:

القسم الأول وهو المرتبط بمقاصد الشريعة الإسلامية ويحوي التقسيمات التالية:

أولاً: المصلحة المعتبرة والملغاة والمرسلة.

ثانياً: الفرض والمندوب والمباح والمكروه والمحرم.

ثالثاً: الضروريات والحاجيات والتحسينيات.

رابعاً: مصلحة حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال.

القسم الثاني: وهو المبني على الاعتبارات الأخرى المختلفة لتقسيم المصالح ويحوي:

أولاً: مصلحة حق الرب وحق العبد. ثانياً: المصلحة القطعية والظنية والمتوهمة. ثالثاً: المصلحة المتفق عليها والمختلف فيها.

رابعاً: المصلحة الدائمة والمنقطعة. خامساً: مصلحة جلب المنفعة ودرء المفسدة.

سادساً: المصلحة المتعلقة بالذات والمتعلقة بالغير

سابعاً: مصلحة العزيمة والرخصة. ثامناً: المصلحة العامة والخاصة. تاسعاً: المصلحة المضيقة والموسعة. عاشراً: المصلحة الكبرى والصغرى.

قال ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٣٤٤/٢٢): وقد استحب أحمد لمن صلى بقوم لا يقنتون بالوتر، وأرادوا من الإمام أن لا يقنت لتأليفهم فقد استحب ترك الأفضل لتأليفهم، وهذا يوافق تعليل القاضي، فيستحب الجهر بها -البسملة- إذا كان المأمومون يختارون الجهر لتأليفهم، ويستحب أيضاً إذا كان فيه إظهار السنة، وهم يتعلمون السنة منه ولا ينكرونه عليه. وهذا كله يرجع إلى أصل جامع وهو أن المفضول قد يصير فاضلاً لمصلحة راجحة، وإذا كان المحرم كأكل الميتة قد يصير واجباً للمصلحة الراجحة ودفع الضرر، فلأن يصير المفضول فاضلاً لمصلحة راجحة أولى. وقال (المجموع ٤٠٧/٢٢): ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات، لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب، وأنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه متماً وقال: الخلاف شر. وقال (المجموع ١٩٤/٢٤): فالعمل الواحد يكون فعله مستحباً تارة وتركه تارة، باعتبار ما يترجح من مصلحة فعله وتركه، بحسب الأدلة الشرعية، والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته.

ميزان الترجيح بين المصالح عند التعارض

إذا تعارضت المصالح والمفاسد في مناط واحد كان الترجيح بينها على أساس ثلاثة أمور:

١. الأهمية الذاتية للمصلحة والوسيلة إليها:

تبين مما سبق أن المصالح متفاوتة، وأنها متدرجة بحسب أهميتها في مراتب أعلاها حفظ الدين، وأدناها حفظ المال، كما تبين أن الوسائل إلى تحقيقها متفاوتة كذلك بدءاً من الضروري وانتهاء بالتحسيني.

ويمثل هذا التدرج في الأهمية بالنسبة للمصالح والوسائل الميزان الأول للترجيح عند التعارض، فما تكون به ضرورة حفظ الدين مقدم على ما تكون به ضرورة حفظ النفس، وما يكون به ضرورة حفظ النفس مقدم على ما يكون به ضرورة حفظ العقل وهكذا. وذلك كالترخيص في شرب الخمر لإزالة الغصة تقديماً لضرورة حفظ النفس على ضرورة حفظ العقل، وكإزالة محال الخمور وإن ترتب على ذلك إتلاف الأموال الطائلة التي قامت بها هذه المحال تقديماً لمصلحة حفظ العقل على مصلحة حفظ المال.

والضروري الذي تتحقق به إحدى هذه المصالح مقدم على الحاجي عند التعارض، وهذا الحاجي مقدم على التحسيني. ولا يستثنى من هذه القاعدة إلا استحباب تقديم الحاجي المتعلق بحفظ الدين على الضروري المتعلق بحفظ النفس، وذلك إعزازاً لجانب الدين الذي هو أساس القيم كلها، وذلك كقيام المسلم بأمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر وإن غلب على ظنه قتله، وإنما قلنا بالاستحباب فقط استصحاباً للأصل الذي هو جواز الترخص في مثل هذه الحال. وبناء على ذلك فلو تعارضت ضرورة حفظ الدين بالجهاد مع حاجي ككون الأئمة عدولاً غير فساق، فإنه يقدم الضروري على هذا الحاجي، فيجب الجهاد مع الأئمة أبراراً كانوا أو فجاراً، ويمضي الجهاد لا يبطله جور الأئمة ولا فسقهم. ولو تعارض أداء الجماعة وهو حاجي مع الاقتداء بالإمام الصالح وهو تحسيني -بأن كان الإمام فاسقاً أو مبتدعاً ولم يوجد غيره- ألغينا التحسيني من أجل الحاجي، وتعين إقامة الجماعة خلف هذا الفاسق أو المبتدع، لأن التزام التحسيني هنا وهو لا يكون إلا بترك الجماعة يؤدي إلى انتفاء الحاجي والتحسيني معاً.

٢. مدى شمول المصلحة

إذا كانت المصلحتان المتعارضتان في درجة واحدة من الأهمية الذاتية بأن كانتا في رتبة واحدة، ومتعلقتين بكلي واحد، انتقلنا إلى ضابط آخر للترجيح وهو مقدار شمولهما للناس وانتشار آثارهما بينهم، فنقدم أشملهما على الأخرى، إذ لا يعقل إهدار مصلحة جمهور الناس من أجل مصلحة فرد أو فئة قليلة منهم، وذلك كترجيح الاشتغال بتعليم العلوم الشرعية على الاشتغال بنوافل العبادات لأن الأول أشمل فائدة من الثاني، وترجيح مصلحة حفظ عقول الناس من الزيغ على مصلحة الفرد في ممارسة حرية الرأي والكتابة عند تعارضهما، وكترجيح مصلحة عامة أهل السوق على مصلحة الواحد منهم في تلقيه للركبان والشراء منهم خارج البلدة.

مدى توقع الوقوع

وهو آكد ضوابط الترجيح بين المصالح عند التعارض، ذلك أن أساس اتصاف الفعل بكونه مصلحة أو مفسدة، إنما يكون بالنظر إلى ما يتمخض عنه في الخارج من النتائج وهي ثلاثة أنواع:

١- مؤكد الحصول في العادة.

٢- مظنون الحصول.

٣- موهوم الحصول.

•فحفر بئر خلف باب دار في الظلام مفسدة مؤكدة، والتجارة في مال اليتيم نقداً مصلحة مؤكدة.

•وبيع السلاح في الفتنة وبيع العنب للخمار مفسدة راجحة، والتجارة في مال اليتيم ديناً مع التوثيق مصلحة راجحة، وهجوم فئة قليلة من عزل المسلمين على أضعافهم من الكفار المدججين بالسلاح مصلحة موهومة، وبيع العنب لمن جهلت صنعته مفسدة موهومة .وعلى هذا فلا يجوز ترجيح مصلحة على أخرى إذا كانت مشكوكة أو موهومة مهما بلغت أهميتها أو درجة شمولها، بل لا بد أن تكون مع ذلك مقطوعة الحصول أو راجحة.

الرخص والتخفيفات الشرعية وأحكام الضرورة

والرخص:ما وسع للمكلف في فعله لعذر وعجز عنه مع قيام السبب المحرم، وهي مجموعة من التخفيفات شرعها الله في حالات معينة دفعاً لمفسدة واقعة أو متوقعة، ومن ذلك القصر والجمع في السفر، والتيمم عند فقد الماء أو خشية استعماله، والفطر في رمضان من السفر والمرض والهرم والحمل. والعبادات مصالح ولما تعارضت مع مفاسد أكبر منها شرعت لها الرخص درءاً لأعظم المفسدتين وجلباً لأعظم المصلحتين.

وكذلك فيما يتعلق بمبدأ الضرورة، وهي الحالة الملجئة لتناول أو فعل الممنوع شرعاً. ففي هذه الحال تتغير موازين المصلحة والمفسدة عن حالة الاعتياد، فتصبح المفسدة التي من أجلها حرم المحرم مرجوحة مقابل المصلحة المتحققة من إباحة هذا المحرم، وهي عين الموازنة بين المصالح والمفاسد. قال ابن تيمية (المجموع٢٠/٣٠٥): والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة، كما يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة، فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة والتي يراد إيقاعها في الكتاب والسنة، ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً على ما هو غيره، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما، فإن من لم يعرف الواقع في الخلق والواجب في الدين لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

تغير الفتوى بتغير متعلقاتها:

وقد عقد ابن القيم في (إعلام الموقعين٣/١١) فصلاً بعنوان (تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد) قال فيه: هذا فصل عظيم النفع جداً، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها.

صفات الموازن

أولاً: الإلمام بمقاصد الشريعة الإسلامية وهي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد.

ثانياً: الإلمام بقواعد ودرجات المصالح من حيث الأهمية.

ثالثاً: العلم الوافي بالفن الذي تتعلق به الموازنة.

رابعاً: الإلمام بحاجة العصر وضرورياته (فقه الواقع).

وفهم المقاصد شرط لبلوغ درجة الاجتهاد قال الشاطبي(الموافقات٤/١٠٥): إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين :

١- فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

٢-التمكن من الاستنباط بناءً على فهمه فيها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفتنة عقوبة وابتلاء

بقلم : الشيخ منقذ جبر
عضو المكتب السياسي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:-

فإن الفتن التي تعتري العبد المسلم في طريقه تتعدد ألوانها وأشكالها وتتنوع آثارها ونتائجها اعتمادا على أسبابها من وجه، وعلى تعامله معها من وجه آخر.

فمن المعلوم إن النبي صلى الله عليه وسلم بين لنا أصرح بيان درجات الفتن واختلاف الناس في التعامل والتعاطي معها.كما أرشد إلى الذي يجب علينا فيها، وقبل ذلك قرر الكتاب الكريم قانونا عظيما وأصلا أصيلا في ملازمة الفتن لأهل الإيمان، وأنهم إن كانوا يحسبون البعد عنها فهذا من المحال كما قال الحق سبحانه: (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)

ففي هذه الآية أصرح بيان وأدل دليل على ملازمة الفتن لأهل الإيمان، والغاية منها بلا ريب هي التمييز بين الصادق والكاذب- كما بينت الآية الكريمة - وبين الطيب والخبيث-كما بينت الآيات في يوم أحد-في قوله تعالى (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) آل عمران ١٧٩

ومن المهم هنا التنبيه إلى أن الابتلاء قد يكون عقوبة على ذنب من الذنوب، وقد يكون ابتلاء محضا لرفع الدرجات وتنقية الإيمان والسمو بالعبد إلى درجات العبودية واليقين العالية..

فأما الأول فهو الذي يندرج تحت قوله تعالى (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) الشورى (٣٠) فأخبرت هذه الآية أن ما يصاب به العبد لا يكون إلا بكسب يده وأن المعفو عنه هو الأكثر، وذلك رحمةً من الله بعباده. ولا ريب أن هذا مما يخفف العقوبة عن العبد في الآخرة لأن الله لا يجمع على عباده عقوبة الدنيا والآخرة...

وأما اللون الثاني من ألوان البلاء، وهو ما يصيب الأنبياء وأتباعهم من الصديقين والأولياء والصالحين وأئمة الدين، فلا شك أنه محض تمحيص وتنقية ورفعة لهم، وإثبات لصدقهم وعدالتهم بين الناس وليس هو عقوبة على ذنوب ارتكبوها ومحارم انتهكوها...

ولا يمكن القول بغير هذا، ولا يمكن تفسير ما أصاب الأنبياء على وجه التحديد من الأذى والقتل والإبعاد والفقر والعذاب وغير ذلك على أيدي أعداء الله وأعدائهم أو حتى بعض أتباعهم، وما كانوا يقاسونه هم في حياتهم وسيرتهم اليومية، إلا على هذا الوجه. وقس مثل ذلك على أتباعهم وصديقي الأمة وقادتها وعلمائها..

ولعل بين هذين القسمين ما يجتمع فيه النوعان السابقان من نوعي الابتلاء، وهو ما يجتمع فيه معنى العقوبة والتمحيص، فيظهر أحدهما تارة ويظهر الآخر تارة أخرى. ومثل ذلك ما أصاب المسلمين يوم أحد من القتل والقرح والبلاء العظيم.

فقد ذكر الله سبحانه كلا القصدين في الذي حصل ذلك اليوم فقال سبحانه (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ)، وقال عز وجل (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ



لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)، ففي هذه الآيات كان معنى الابتلاء والتمحيص المجرد هو الأظهر والأبين..

وفي نفس الواقعة يقول الحق سبحانه (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فاخبر هنا أن المصيبة كانت بسبب ما اقترفته أنفسهم أو بعضهم من عصيان أمر النبي صلى الله عليه وسلم والنصوص بقوله (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فمن المعلوم أن المعصية وقعت من البعض ولكن البلاء وقع على الكل بما فيهم النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم تصديقا لقول الحق سبحانه (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) والحادثة مشهورة معلومة..

وعلى كل حال علينا أن نعلم أن الفتن منها ما هو كبير عظيم مظلم ومنها ما هو صغير عابر طارئ بيّن، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الفتن الذي رواه مسلم من حديث حذيفة ((كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ قَالَ: فَقُلْتُ أَنَا. قَالَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ وَكَيْفَ قَالَ قَالَ قُلْتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ (فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلاَةُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ). فَقَالَ عُمَرُ لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ - قَالَ - فَقُلْتُ مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا قَالَ أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ قَالَ قُلْتُ لاَ بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لاَ يُغْلَقَ أَبَدًا. قَالَ فَقُلْنَا لِحُذَيْفَةَ هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ قَالَ نَعَمْ كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ. قَالَ فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ مَنِ الْبَابُ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ سَلْهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ عُمَرُ)) ١٧٣/٨ (٧٤٥٠) وهنا فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين الفتن التي تموج كموج البحر وبين فتنة الرجل في أهله وجيرانه....

كما أنه عليه الصلاة والسلام بين في حديث آخر بين خفاء هذه الفتن على الناس وأنها كالليل المظلم المدلهم نسأل الله السلامة، وذاك بقوله((إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ، فِتَنًا كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ، ثُمَّ يُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ، ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلاَقَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ ، أَوْ بِعَرَضِ الدُّنْيَا.)) أحمد ٢٧٢/٤

فالحديث الأول بين حجمها وبين الثاني أوصافها وما ترتب عليها ..وأيا كانت الفتن كبيرها وصغيرها فإن على العبد المسلم الثبات والصبر وسؤال الله منجاته وعونه وسلامته منها، فإن الفتن تعرض على القلوب كما يعرض الحصير عودا عودا كما أخبر النبي صلى الله علي وسلم بقوله(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا) ثم بين عليه الصلاة والسلام الفرق بين قلب المؤمن وقلب المنافق في التعامل مع هذه الفتن بقوله: (فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)) مسلم ٨٩/١ (٣٨٦)

نسأل الله أن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وإذا أراد بعباده فتنة أن يقبضنا إليه غير مفتونين..ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الكافرين ونجنا برحمتك من القوم الظالمين ..

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

السيرة النبوية وواقع المسلمين ...

الأساس الصلب

في ظل الظروف العصيبة والفتن المتوالية كقطع الليل المظلم على بلدنا العراق وأبنائه، وبعد مرور أكثر من أربع سنوات من الغزو أربع سنوات من الظلم والانتهاكات والاعتقالات والفتن في طرق القتل والتهجير والتشريد، أكثر من أربع سنوات من الاستئثار بالسلطة الموهومة والجري وراءها تحت مسميات عدة تارة باسم (الوطنية) وأخرى باسم (الديمقراطية) وثالثة باسم (حقوق الإنسان) ورابعة باسم (المظلومية) وخامسة باسم (إنقاذ الشعب) وسادسة باسم (الحرية) وهذه المزاعم أحياناً قد تكون من قبل (البرلمانيين) تحت يافطات (إسلامية) وأحيانا تحت يافطات (علمانية) والنتيجة أن كل هذه اليافطات لا تتحرك ولا تتخذ قرارها إلا بعد أن تمر عبر قناة ومصفاة الغازي الكافر، وكل حزب بما لديهم فرحون.

بعد أكثر من أربع سنوات على الفتن التي أحرقت بيوت الله، وانتهكت حرمة المصحف الشريف، على أيدي الغازي وأعوانه ومخابراته واستخباراته وموساده وميليشياته الإيرانية ومن عاونهم من ناكري خبز العراق ومائه أمثال ميليشيا جيش المهدي، وقوات بدر وثأر الله، وو...)، لابد أن تكون لنا وقفة مع أنفسنا ومع أعمالنا ونظرتنا إلى الواقع، من المنطلق والمنظور الشرعي أولاً وأخيراً.

لندرك أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وأن ما أصابنا هو بلاء وفتنة وامتحان، ودروس تربوية قد لا ندركها أبداً حتى نبلغ آجالنا ونوارى الثرى لولا مرورنا بفتن عصيبة كهذه.

إن الفتن التي أدركناها ونعايشها اليوم رغم كرهنا لها فقد يجعل الله فيها خيراً كثيراً، هذه الفتن هي الأسباب ذاتها، التي نقلت المسلمين من العهد المكي الذي نعيشه اليوم إلى عهد الجهر بالدعوة والصدع بالجهاد في سبيل الله، والخروج بقوة التوحيد قوة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، على عبدة النار من المجوس لتدك حصون كسرى وتجعل رستم يختبئ خلف بغاله خوفاً من حملة التوحيد، لتدك حصون الروم وقسطنطينيته، على ذات اليد الموحدة أيضاً، ليبلغ ملك الإسلام الأندلس، هذه هي نتائج الفتن التي يستفيد منها المسلم الذي يجعل من المحنة منحة، ووسيلة ودافعاً للعودة إلى الله وبناء الأساس الصلب الذي يفتقر إليه اليوم الكثير من أبناء جلدتنا.

فبعد عامين من الفتح، عندما قُبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم)- ارتدت الجزيرة العربية، ولم يثبت إلا مجتمع المدينة، القاعدة الصلبة الخالصة، هذه الظاهرة يسهل الآن تفسيرها، إن عامين اثنين بعد الفتح لم يكونا كافيين لاستقرار حقيقة الإسلام في نفوس هذه الأفواج الكثيرة التي دخلت في دين الله أفواجا بعد الفتح، بمستوياتها الإيمانية، فلما قُبض رسول الله –صلى الله عليه وسلم-

ارتجت الجزيرة وتخلخلت، وثبتت القاعدة الصلبة وبهذا يظهر جلياً دور هذا الأساس وقاعدته الصلبة، في تلك الأحداث العصيبة، بثباتها على دين الله وتضحياتها وبذلها من أجله خاصة في أوقات العسرة ودراسة الإسلام وصيانته من الهزات العنيفة بعد الفتح، ومن الهزة الكبرى بعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم- وارتداد الجزيرة.

كيف نبني أساساً صُلباً:

لابد أن نعلم أن الابتلاء سنة، والتمحيص قبل القضاء على الأعداء سنة... قال تعالى: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) وفي فترة الابتلاء والتمحيص تتم جوانب كثيرة من التربية المطلوبة لحملة الإيمان، الذين يواجهون الجاهلية في أول جولة، والذين يحتاجون إلى صفات وأحوال غير التي تحتاج إليها الأفواج الداخلة فيما بعد، بمقدار ما تختلف إقامة الأعمدة الأساسية في الأرض، التي تحمل البناء كله، عن إقامة الأحجار في أماكنها بين هذه العمدان.

لقد تعرض كل فرد في المجتمع الإسلامي الجديد إلى الأذى والفتنة بكل صنوفها، إلى حد إهدار الدم في كثير من الأحيان، ويومئذ لم يكن يقدم على شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والانضمام إلى ذلك التجمع الإسلامي الوليد، والولاء لقيادته الجديدة، إلا من نذر نفسه لله، وتهيأ لاحتمال الأذى والفتنة والجوع والغربة والعذاب والموت في أبشع الصور أحياناً.



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ [رواه ابن ماجة].

وكان أبو جهل (وما أكثر أمثاله في زماننا هذا)، إذا سمع برجل قد أسلم وله شرف ومنعة، أنّبه وأخزاه، وتوعده بالخسارة البالغة الفادحة في المال والجاه، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به ، وفي صحيح البخاري قَالَ ابْنُ عُمَرَ قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذْ كَانَ الإِسْلاَمُ قَلِيلاً ، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ ، إِمَّا يَقْتُلُوهُ وَإِمَّا يُوثِقُوهُ ، حَتَّى كَثُرَ الإِسْلاَمُ ، فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وكان عم عثمان بن عفان –رضي الله عنه- يلفه في حصير من أوراق النخيل ثم يدفنه من تحته، ولما علمت أم مصعب بن عمير –رضي الله عنه- بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده تخشف الحية ، وكان أبو فكيهة –واسمه أفلح- مولى لبني (عبد الدار)، فكانوا يشدون برجله الحبل، ثم يجرونه على الأرض ، وكان خباب بن الأرت مولى لأم أغار بنت سباع الخزاعية فكان المشركون يذيقونه أنواعا من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً، ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجراً حتى لا يستطيع أن يقوم، ولقد كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في هذه الأحداث وفي هذه الظروف الصعبة يربي أصحابه على ما يلي:

١- التأسي بالسابقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم في تحمل الأذى في سبيل الله.

٢- التطلع إلى المستقبل الذي ينصر الله فيه الإسلام في هذه الحياة الدنيا ويذل فيه الشرك وأهله، عن خباب بن الأرت –رضي الله عنه- قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً ، وَهْوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ فَقَعَدَ وَهْوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ . لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ
حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ . . زَادَ بَيَانٌ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ) [رواه البخاري].

٣- التعلق بما أعده الله في الجنة للمؤمنين الصابرين من النعيم، وعدم الاغترار بما في أيدي المشركين من زهرة الحياة الدنيا، عَنْ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لأَبِي عَمَّارٍ، وَأُمِّ عَمَّارٍ :اصْبِرُوا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ) [رواه الطبراني].

٤- ضبط النفس والتحلي بالصبر، إمساكاً بزمام الدعوة الوليدة، أن يئدها الشر وهي لا تزال غضة طرية، ولعل المشركين كانوا حريصين على مواجهة حاسمة مع الدعوة لإنهاء أمرها، لكن الحكمة الإسلامية فوتت عليهم الفرصة.

أتى عبد الرحمن بن عوف وأصحابه إلى النبي –صلى الله عليه وسلم- بمكة فقالوا: يا نبي الله، كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! قال: إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ] (أخرجه الحاكم)، وهذا لا يعني في حالنا اليوم الامتناع عن صد الكافرين الغزاة ومن والاهم؛ لأن بين أيدينا نصوص الأمر بالقتال ولكن القصد وضع الأشياء مواضعها.

٥- توثيق الصلة بالله –تعالى-، والتقرب إليه بالعبادة، لقد كان الذين استجابوا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- في مكة خلال ثلاثة عشر عاماً، قلة محدودة لا تبلغ المائتين من الناس، ولكنهم كانوا هم نواة ذلك الجيل الفريد الذي تفرد في التاريخ البشري كله.

وبذلك تكونت للإسلام قاعدة صلبة من أصلب العناصر عوداً في المجتمع العربي، فأما العناصر التي لم تتحمل هذه الضغوط فقد فتنت عن دينها وارتدت إلى الجاهلية مرة أخرى، وكان هذا النوع قليلاً، فقد كان الأمر كله معروفاً مكشوفاً من قبل، فلم يكن يقدم ابتداء على الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام، وقطع الطريق الشائك الخطر المرهوب إلا العناصر المختارة الممتازة فريدة التكوين.





سورة آل عمران، وواقع المشروع الجهادي

بقلم : الشيخ عبدالله الجابر

روى ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال: قالت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد، قال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ)– إلى قوله – (أَمَنَةً نُعَاسًا) [فتح الباري/ كتاب المغازي ج٩ ص٢٩٤].

معركة أحد وقعة عظيمة، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى جبل أحد، وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: (جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) [رواه البخاري عن أبي حميد، فتح الباري، كتاب المغازي، ج٥/ ص٣٣٩، رقم الحديث ٤٠٨٣، ٤٠٨٤].

(وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور ، وشذ من قال سنة أربع . قال ابن إسحاق : لإحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل : لسبع ليال وقيل : لثمان وقيل : لتسع وقيل : في نصفه ، وقال مالك : كانت بعد بدر بسنة ، وفيه تجوز لأن بدرا كانت في رمضان باتفاق فهي بعدها بسنة وشهر لم يكمل ، ولهذا قال مرة أخرى : كانت بعد الهجرة بأحد وثلاثين شهرا . وكان السبب فيها ما ذكر ابن إسحاق عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الأسود عن عروة قالوا : وهذا ملخص ما ذكره موسى بن عقبة في سياق القصة كلها قال : لما رجعت قريش استجلبوا من استطاعوا من العرب وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد . وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وتمنوا لقاء العدو ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا ، فلما أصبح قال . رأيت البارحة في منامي بقرا تذبح ، والله خير وأبقى ، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته أو قال به فلول فكرهته وهما مصيبتان ، ورأيت أني في درع حصينة وأني مردف كبشا . قالوا : وما أولتها ؟ قال : أولت البقر بقرا يكون فينا ، وأولت الكبش كبش الكتيبة ، وأولت الدرع الحصينة المدينة ، فامكثوا ، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت ، فقال أولئك القوم : يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم ، وأبى كثير من الناس إلا الخروج فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللأمة فلبسها ، ثم أذن في الناس بالخروج ، فندم ذوو الرأي منهم فقالوا : يا رسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل ، نزل فخرج بهم وهم ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف حتى نزل بأحد ، ورجع عنه عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمائة فبقي في سبعمائة ، فلما رجع عبد الله سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة ، وصف المسلمون بأصل أحد ، وصف المشركون بالسبخة وتعبوا للقتال ، وعلى خيل المشركين - وهي مائة فرس - خالد بن الوليد ، وليس مع المسلمين فرس وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وعهد إليهم أن لا يتركوا منازلهم ، وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير ، فبارز طلحة بن عثمان فقتله ، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم عن أثقالهم ، وحملت خيل المشركين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات ، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتبهوهم ، فرأى ذلك الرماة فتركوا مكانهم ، ودخل العسكر ، فأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين في الخيل فمزقوهم ، وصرخ صارخ : قتل محمد أخراكم ، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون ، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل ؛ وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم ، حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب ، وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه ، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته ، فمر مصعدا في الشعب ومعه طلحة والزبير ، وقيل : معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء والحارث بن الصمة ، وشغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا النبي صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه ، فقال أبو سفيان يفتخر بآلهته : اعل هبل ، فناداه عمر : الله أعلى وأجل . ورجع المشركون إلى أثقالهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن ركبوا وجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل ، فهم يريدون البيوت ، وإن ركبوا الأثقال وتجنبوا الخيل فهم يريدون الرجوع ، فتبعهم سعد بن أبي وقاص ، ثم رجع فقال : رأيت الخيل مجنوبة ، فطابت أنفس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوهم في ثيابهم ولم يغسلوهم ولم يصلوا عليهم ، وبكى المسلمون على قتلاهم ، فسر المنافقون وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق ، فقالت اليهود : لو كان نبيا ما ظهروا عليه ، وقالت المنافقون : لو أطاعونا ما أصابهم هذا). [فتح الباري، ج٥/ كتاب المغازي، ص٢٩٢ – ٢٩٣].

فأنزل الله تعالى في هذه الوقعة العظيمة المؤلمة المحملة بالدروس والعبر آيات في سورة آل عمران هي عبرة للمسلمين في كيفية دفع العدو الصائل إلى يوم القيامة.

قال تعالى: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [آل عمران/ ١٢١ – ١٥٣].

إن المتأمل في هذه الآيات العظيمات ليفضي به المقام إلى دروس وعبر وفقه إدارة وتنظيم دفة المعركة خصوصاً في حالة جهاد الدفع، دفع الصائل الكافر الحربي على المسلمين، ومعرفة دور وأهمية التمسك بالأحكام الشرعية وأدق تفاصيلها في أحلك الظروف وأصعبها وإن كان المسلم يواجه الموت في سوح الوغى وميادين الجهاد، وتبيان آثار معصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في حادثة نزول الرماة من الجبل من أجل الغنيمة، وعاقبة حب الدنيا الوخيمة بسبب ميل الرماة إلى الحصول على الغنائم، ما أدى إلى تمكن المشركين من اصطلامهم، ودروس وعبر كثيرة وغزيرة ومهمة تستخلص من هذه المعركة التي صورها القرآن الكريم أدق تصوير، وكأننا نحن نعيشها ونستشعرها بل ونراها بأم أعيننا.

إن وقعة أحد لهي حادثة تنطبق جل أحكامها وغالبها إن لم نقل كلها على ما يحصل اليوم في العراق، عندما دارت رحى حرب جهاد الدفع من قبل المجاهدين الأفذاذ ضد الغزاة الكفار المحتلين وأذنابهم، فهي فقه ارتيادي لابد للمجاهدين من الالتفات إليه والاستفادة منه، بل لابد من جعلها نبراسا ومنهلا ننهل منه في تنظيم ووضع الخطط الإستراتيجية لإدارة المعركة ضد الغزاة الأمريكان والمجوس وأذنابهم من المرتدين والجواسيس المنافقين.

ومن أبرز تلك الدروس التي لابد من وضعها في الحسبان هي:

١- الاستفادة من حماسة الشباب واندفاعهم في مهاجمة العدو، ولكن وفق الضابط الشرعي ووفق الأحكام التي ضبطت كيفية مواجهة الأعداء وقتالهم، وحتمية دفعهم، وبعيداً عن التهور وانعدام المسؤولية حتى لا تقع أخطاء تؤخر النصر، وتصيب آثارها المنضبطين من بقية المجاهدين، وهذا يؤكده فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال له القوم: يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم، وأبى كثير من الناس إلا الخروج.

٢- مشروعية حرب العصابات وأهميتها ومدى أثرها في العدو، حيث قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت.

٣- شجاعة القائد أو أمير الحرب في المعركة ومدى أثرها على نفوس الجند، ودليله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللأمة فلبسها، ثم أذّن في الناس – أي أعلمهم – بالخروج، فندم ذوو الرأي منهم فقالوا: يا رسول الله امكث كما أمرتنا، فقال: ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل. وفيه قوله تعالى: ﴿(تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) أي: تنزلهم وترتبهم كل في مقعده اللائق به، وفيها أعظم مدح للنبي صلى الله عليه وسلم حيث هو الذي يباشر تدبيرهم وإقامتهم في مقاعد القتال، وماذا إلا لكمال علمه ورأيه، وسداد نظره وعلو همته، حيث يباشر هذه الأمور بنفسه، وشجاعته الكاملة صلوات الله وسلامه عليه﴾ [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان/ السعدي، ص١٤٥، ج٤].

٤- إن المسلمين لم ينتصروا في كل معاركهم بفضل عدد ولا عُدّة، حيث خرج بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف حتى نزل بأُحد، ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره: {هذه الآيات نزلت في وقعة (أحد)} ولعل الحكمة في ذكرها في هذا الموضع، وأدخل في أثنائها وقعة (بدر) – {ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة} أذلة أي قلة – كما إن الله تعالى قد وعد المؤمنين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكماً عاماً ووعداً صادقاً لا يتخلف مع الإتيان بشرطه، فذكر نموذجاً من هذا في هاتين القصتين، وأن الله نصر المؤمنين في (بدر) لما صبروا واتقوا، وأدال عليهم العدو لما صدر من بعضهم من الإخلال بالتقوى ما صدر.

٥- إن المسلم لابد إن يكون مستمسكاً بصفاء عقيدته ونقائها تحت أي ظرف كان بل في أحلك الظروف، فعندما قال أبو سفيان يفتخر بآلهته (أعل هُبل)، ناداه عمر (الله أعلى وأجل) وهذا دليل على نصرة العبد لربه وإن كان قد أثقلته الجراح والآلام لأي مصيبة يلقاها، خصوصاً إذا كان مجاهداً ينافح الكفار وأذنابهم فإن العقيدة الصافية شرط قبول العمل وشرط النصرة وحيازة المعية الخاصة.

٦- لابد أن يتابع المسلمون المجاهدون أخبار عدوهم وتكون لهم عيون واستخبارات متيقظة في كل مكان، بل في كل ثغرة يمكن أن يفتحها المسلمون في صفوف العدو حتى لا يؤخذوا على حين غرة، فعندما رجع المشركون في معركة أحد – إلى أثقالهم فقال

النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: إن ركبوا وجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل فهم يريدون البيوت – أي المدينة – وإن ركبوا الأثقال وتجنبوا الخيل فهم يريدون الرجوع فتبعهم سعد بن أبي وقّاص ثم رجع فقال: رأيت الخيل مجنوبة – أي غير مركوبة – فطابت أنفس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوهم.

٧- تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن لا يبرحوه. فكان ما كان من تبديل النصر إلى هزيمة وإدالة المشركين على المسلمين قتلاً وتمثيلاً بجثثهم.

٨- إن حب الدنيا يقع حتى في قلوب الأتقياء والصالحين وإن المجاهد غير معصوم من فتنة الدنيا ولو كان صحابياً، فخاطبهم الله تعالى: (مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ) (قال بعضهم لبعض، الغنيمة الغنيمة، ما يقعدنا هنا والمشركون قد انهزموا، ووعظهم أميرهم عبد الله بن جبير عن المعصية فلم يلتفتوا إليه) [تفسير السعدي/ تيسير الكريم الرحمن، ص١٤٥]. وهذا دليل على أن الخطأ لا يعصم منه المجاهد، كما لا يجوز إسقاط عبادة الجهاد عن المجاهدين بسبب بعض الأخطاء التي قد تكون اجتهادية لتأويل معين، أو لحالات ضعف تنتابهم بحسب الظروف التي يواجهونها، فيبقى حكمهم على الأصل أنهم مجاهدون هدفهم الأول هو إعلاء كلمة لا إله إلا الله، إلا إذا جاء بما يقدح بأصل التوحيد والعقيدة أو فعل يضادها. قال السُدّي عن عبد خير قال: قال عبد الله بن مسعود: (ما كنت أرى أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية يوم أحد) [فتح الباري: كتاب المغازي، ص ٦٤، ج٩].

٩- ومنها أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائماً لدخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين ليتميز الصادق من الكاذب [فتح الباري، ج٩، كتاب المغازي، ص٢٩٤]. وهذا فيه دليل على سنة الله تعالى في عباده المؤمنين بالتمحيص، قال تعالى: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) يقول الشيخ السعدي: وهذا أيضاً من الحكم أن الله يمحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب.

١٠- فضح المنافقين الذين يرفعون عقيدتهم ويظهرونها عند إدالة الكرة على المؤمنين، يقول الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح: وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم، ويقول العلامة السعدي في تفسيره: وليمحص الله أيضاً المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق. [المصدر السابق، ص١٥٠].

١١- ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون [فتح الباري، ج٩، كتاب المعازي، ص ٢٩٤]. فالنفس البشرية إذا اعتادت على شيء كان لها أمراً طبيعياً لا تشعر به كنعمة ومنة من الله تعالى إلا من رحم الله تعالى، لذلك من حكمته سبحانه أنه يجعل عباده كل يوم في شأن، فكذلك فقه النصر والهزيمة فلا تعرف حلاوة النصر والتمكين إلا بإذاقة غصة الهزيمة وتجرع مرارتها.

١٢- الحرص على الشهادة وطلبها وأنها اختيار من عند الله تعالى لا من عند عباده، يقول الحافظ في الفتح: ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم [المصدر السابق].

١٣- ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحص بذلك ذنوب المؤمنين، ومحق بذلك الكافرين. [فتح الباري- المصدر السابق-]. ولهذا قال تعالى: (وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)، (أي: ليكون سبباً لمحقهم واستئصالهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا، بغوا، وازدادوا طغياناً إلى طغيانهم، يستحقون به المعاجلة بالعقوبة، رحمة بعباده المؤمنين) [تيسير الكريم الرحمن، ص١٥٠ – المصدر السابق]. وبهذا يحقق الله تعالى سنة عظيمة من سننه ألا وهي سُنة المداولة لحكم عظيمة .

١٤- ومن الحكم في ذلك إن هذه الدار يعطي الله منها للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى، لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا. [المصدر السابق] ولهذا قال تعالى: (وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ).

١٥- ومن الحكم الربانية التي أوردها الله تعالى في آيات من سورة آل عمران تخص وقعة أحد، هي عدم الاغترار بالنفس عندما تصل إلى مرحلة عالية من مراحل الإيمان، فلعلها تضعف وتتردد وتشك أو يشتبه عليها الأمر في موقف من مواقف البلاء سواء بالنعم أو بالمصائب، وهذا ما يدل عليه قول الله تعالى: (إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش الذي تألف قوامه من ألف مقاتل (رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الجيش ممن هو على مثل طريقته، وهمّت طائفتان من المؤمنين إن يرجعوا وهم بنو سلمة وبنو حارثة فثبتهم الله). فلهذا قال: (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا) أي: بولايته الخاصة، التي هي لطفه بأوليائه، وتوفيقهم لما فيه صلاحهم وعصمتهم عما فيه مضرتهم، فمن توليه لهما أنهما لما هما بهذه المعصية العظيمة وهي الفشل والفرار عن رسول الله عصمهما، لما معهما من الإيمان كما قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [تيسير الكريم الرحمن – مصدر سابق -]. فلولا تولي الله لهم لتخلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم الإيمان الذي يحملونه، لذلك لابد أن يكون الأصل في الإيمان الثقة والتوكل والاعتماد على الله لا الاغترار بالنفس وبما وصلت إليه من إيمان.

((ففيها الأمر بالتوكل الذي هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم، وخصوصاً في مواطن الشدة والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة بربهم والاستنصار به، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فبذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن)) [المصدر السابق/ ص١٤٦].

إن هذه الوقفات المذكورة آنفاً على عُجالة ليست مجرد دروس وعبر يطلع عليها، وإنما يجب إن يستفيد منها إخواننا المجاهدون في العراق خصوصاً وفي كافة أصقاع الأرض ممن يحملون راية الجهاد في سبيل الله تعالى عموماً، وتدرّس كإستراتيجية لفقه وكيفية تحقيق النصر والتمكين، فبعد معركة أحد توالت انتصارات المسلمين، وبعد انهزام الأحزاب في الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ] [صحيح البخاري، كتاب الجهاد ٤١١/١، وكتاب المغازي ٥٩٠/٢ – نقلاً عن الرحيق المختوم/ للمباركفوري ص٣٢١]. إن إستراتيجية الكرّ والفرّ وجهاد الدفع وعدم اليأس في إصابة أعداء الدين في بعض الجولات والاستعداد للرد عليهم، لابد من استخلاصه من غزوات العهد النبوي وفتوحات الصحابة من بعده، ومن أبرزها معركة أحد لأن حالنا اليوم في العراق وما أصاب المشروع الجهادي القتالي في العراق من تلكؤ لهو شديد الشبه بحال المسلمين في معركة أحد، وكأنما الآيات نزلت في مجاهدي العراق، ولكأننا نسمعها ونقرأها أول مرة لما رأينا من تطبيقها العملي على أرض واقعنا فهل من مدّكر.

فتوى

س: لديّ مال قد وجبت فيه الزكاة فأرجو بيان أفضل وجهة من وجهات الزكاة لصرفه فيه أيّدكم الله تعالى ؟

ج: الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه

وبعد؛ فمعلوم أن الزكاة ركن من أركان الإسلام، وما كان كذلك فإن الله تعالى يبينه أكمل بيان في كتابه أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فما حلّ وقت زكاته من المشمولات بالزكاة بحول أو حصاد، وبلغ النصاب فقد وجبت فيه الزكاة، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك في سنته، أما مصارف الزكاة فقد تولّى الله تعالى بيانها في كتابه فقال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[1] ، فهذه الأصناف الثمانية هي مصارف الزكاة، ولكي نعلم أياً من هذه المصارف أولى، يجب أن نعلم قبل ذلك مَنْ الذي يتولى صرفها، بعد أن علمنا من تجب عليه ومن تحق له.

فمن المعلوم أن الزكاة حين شرعت، بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالسعاة من أصحابه إلى كل أرض وطئها الإسلام، يجمعون الصدقات من أصحابها الذين وجبت عليهم، ومن أولئك السعاة محمد بن مسلمة والأرقم بن أبي الأرقم وبعث خالدا بن سعيد بن العاص على اليمن، وعبد الرحمن بن عوف على صدقات كلب، وعدي بن حاتم على طي، والإباء بن قيس الأسدي على أسد، وعيينة بن حصن على فزارة، والوليد بن عقبة بن أبي معيط على بني المصطلق، والحارث بن عوف المرّي على بني مرة، وعامر بن مالك على بني عامر بن صعصعة، وعباس بن مرداس على بني سليم، والضحاك بن سفيان الكلابي على بني كلاب، والمهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، وغيرهم يطول ذكرهم رضي الله عنهم، وكذا استعمل الخلفاء الراشدون من بعده عمالا على جمع الصدقات كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هذا يتبين أن أمر الزكاة مفهوم جماعي، يخضع لتصرف الإمام، وليس أمرا فرديا يقدّر صرفه من وجبت عليه، مثل باقي الصدقات المندوبة التي يحق للمتصدق إنفاقها في أي وجوه الخير شاء.

وهذه الأموال المجموعة من الزكوات عن طريق العمال والسعاة، كانت تأتي في الغالب إلى مركز الخلافة، وأحيانا قد يصرفها الساعي أو بعضها على البلد الذي جمعها منه، إذا رأى المصلحة في ذلك من وجود مستحقين لها ونحو ذلك. قال ابن القيم: وكذلك كان – يعني النبي صلى الله عليه وسلم - يؤمّر على السرايا ويبعث السعاة على الأموال الزكوية، فيأخذونها ممن هي عليه ويدفعونها إلى مستحقيها، فيرجع الساعي إلى المدينة وليس معه إلا سوطه، ولا يأتي بشيء من الأموال إذا وجد لها موضعا يضعها فيه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستوفي الحساب على عماله يحاسبهم على المستخرج والمصروف[2].

وإليك صورتين تدلان على أن أموال الزكاة كان يؤتى بها إلى الإمام:

الأولى: في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ - رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ - عَلَى الصَّدَقَةِ فَجَاءَ بِالْمَالِ فَدَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَفَلاَ قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَتَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْكَ أَمْ لاَ. ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لاَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٌ تَيْعَرُ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ». مَرَّتَيْنِ.

والثانية: في الصحيحين أيضا عن عبد الله ابن الساعدي – أو السعدي- رضي الله عنه أنه قال: اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْهَا وَأَدَّيْتُهَا إِلَيْهِ أَمَرَ لِي بِعُمَالَةٍ، فَقُلْتُ: إِنَّمَا عَمِلْتُ لِلَّهِ وَأَجْرِي عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ خُذْ مَا أُعْطِيتَ فَإِنِّي عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَمَّلَنِي فَقُلْتُ مِثْلَ قَوْلِكَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ». وفي رواية البخاري ذكر سبب عدم أخذه للعمالة بقوله: "إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا، وَأَنَا بِخَيْرٍ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ". فأجابه عمر رضي الله عنه في نفس الرواية قائلا: فَلاَ تَفْعَلْ، فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالاً، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ وَمَا لاَ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ".

ومن هذين الحديثين نستفيد أن العامل على الصدقات لا يجوز له أن يأخذ ما يهدى إليه، ولو كان من غير قصد الرشوة، كما يشرع للإمام إعطاء العامل عليها منها ولو كان غنيا، ويشرع للعامل أخذ ما أعطاه الإمام من غير مسألة ولا تشوف.

وأهم من ذلك في الحديثين، أن الصدقات تجمع عند الإمام، وهو يتولى صرفها في الأصناف الثمانية ومصالح المسلمين العامة، ومن هذا يتبين أن الزكاة ولاية من الولايات كالجهاد والقضاء والصلاة والحج وغيرها، فعند انعدام الإمام أو الوالي المقيم لحدود الله تعالى وأوامره في بلد ما، تقوم مقامه جماعة أو جماعات المسلمين الموثوق بدينها وعلمها فتؤدى إليها وهي تتولى صرفها، كما يجوز إخراجها إلى بلاد أخرى بما قد تقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه رضي الله عنهم وكذا مَن بعدهم، كانت تجبى إليهم الزكوات من أقطار الأرض جميعا.

وبذلك يُعلم أن رد كيد الأعداء عن بلاد المسلمين الذي يفسد عليهم دينهم ودنياهم، أولى من سد جوعة بعض الفقراء والمساكين إن تطلب الأمر ذلك، وفداء أسرى المسلمين وفك رقابهم أولى من إعطاء العاملين عليها.

وردُ كيد الأعداء يكون بالإنفاق على المقاتلين وتجهيزهم وإعداد العدة، وكذلك بالتصدي لمشاريعهم الفكرية بالإنفاق على الدعاة ونشر الدعوة وإعداد العدة لها.

والذي لا يستطيع إعطاءها لجماعة موثوقة من المسلمين، فلينفقها في ما ذُكر من أوجه رد كيد أعداء الله، ولا بأس بجعل جزء من ذلك لباقي مصارف الزكاة والله تعالى أعلم وأحكم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١- سورة التوبة آية: ٦٠
٢-الطرق الحكمية ص: ٣٦٠

فتوى

س: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منّا مَنْ لم يتغنَّ بالقرآن"؟

ج: الحمد لله، نقول ومن الله التوفيق، هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا به، ورواه أبو داود وغيره عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا به.

ومعناه والله تعالى أعلم، أنه تحسين الصوت بالقرآن بتحزين القراءة وترقيقها، اختاره الشافعي والطبري وأكثر العلماء، واستدلوا بما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعا:" زَيِّنوا القُرآنَ بأَصواتِكم"، وبما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : " مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ" وزاد في رواية لمسلم " لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ ".

وأَذِن: بمعنى استمع، ومنه قول الشاعر: صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرت به ******* وإن ذُكِرت بسوءٍ عندهم أَذِنوا

وروى الشيخان عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيَّ رضي الله عنه قَالَ: قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ.

وفي مسند أحمد وغيره بإسناد صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللهِ، وَتَعَاهَدُوهُ وَتَغَنَّوْا بِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقُلِ "

والتفسير بهذا - تحسين الصوت بالقرآن بتحزين القراءة وترقيقها - هو الأقرب، وهو الأولى في موطن التكليف وأوفق لمعاني التعبد بتلاوة القرآن.

وفيه تفسير آخر: أنه أمر بالاستغناء بالقرآن عن غيره من الكتب والأخبار، وهذا التفسير منقول عن سفيان بن عيينة ووكيع وأحمد وغيرهم وهو ظاهر صنيع البخاري، فقد بوب في صحيحه قال : باب مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ)

قال الحافظ ابن حجر: أشار بهذه الآية إلى ترجيح تفسير ابن عيينة: يتغنى؛ يستغني ...ثم قال: وقد أخرج الطبري وغيره من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة – مرسلا- قال:" جاء ناس من المسلمين بكتب وقد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كَفى بقومٍ ضَلالةً أنْ يَرغبوا عمّا جاءَ بهِ نَبيّهم إليهم إلى ما جاءَ بهِ غيرُه إلى غيرِهم، فنزَلَ : أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ " .

ومنهم من حمله على الاستغناء العام حتى من الناس ومن كثرة التكسب.

واختاره أبو عبيد، وقال: وليس للحديث عندي وجه غير هذا لأنه في حديث آخر كأنه مفسر عن عبد الله بن نَهيك أو ابن أبي نهيك أنه دخل على سعد وعنده متاع رَثّ ومثال رَثّ، فقال قال رسول الله: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن". قال أبو عبيد: فذِكْره رثاثة المتاع والمثال عند هذا الحديث ينبيك أنه إنما أراد الاستغناء بالمال القليل، وليس الصوت من هذا في شيء، ويبين ذلك حديث عبد الله من قرأ سورة آل عمران فهو غني. وعنه قال: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها من آخر الليل، قال أبو عبيد: فأرى الأحاديث كلها إنما دلت على الاستغناء ومنه حديثه الآخر: من قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما. ومعنى الحديث: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها ... ثم قال: ومع هذا أنه كلام جائز فاشٍ في كلام العرب وأشعارهم أن يقولوا : تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا يعني: استغنيت، قال الأعشى : وكنت امرأ زمنا بالعراق ******* عفيفَ المناخ طويلَ التغنْ

يريد الاستغناء أو الغنى ; وقال المغيرة بن حبناء التميمي يعاتب أخا له : كلانا غني عن أخيه حياته ******* ونحن إذا متنا أشد تغانيا

يريد أشد استغناء هذا وجه الحديث والله أعلم .

وذكر الخطابي الوجهين السابقين في معنى "يتغنّ بالقرآن" وقال: وفيه وجه ثالث قاله ابن الأعرابي صاحبنا أخبرني إبراهيم بن فراس قال: سألت ابن الأعرابي عن هذا فقال إن العرب كانت تتغنى بالركبان إذا ركبت الإبل وإذا جلست في الأفنية وعلى أكثر أحوالها فلما نزل القرآن أحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون القرآن هجيراهم مكان التغني بالركبان .

وهذا تفسير ببعض ما يدل عليه الحديث وفيه الوجهان السابقان: الاستغناء بالقران عن اللهج بالركبان وتحسين الصوت به كما يفعل في التغني بالركبان. والركبان: هو نشيد بالمد والتمطيط ينشدونه إذا ركبوا الإبل ويفعلونه في أفنيتهم وفي عامة أحوالهم.

والتغني جاء في كلام العرب في المال وفي المقال، فمما جاء في المال قول الشاعر: كم من غني رأيت الفقر أدركه ******* ومن فقير تغنى بعد إقلالِ

ومما جاء في المقال قول حسان بن ثابت رضي الله عنه: تغنَّ بالشِعر إما كنتَ قائله ******* غن الغناء لهذا الشِعر مضمارُ

وأما قوله: صلى الله عليه وسلم " ليس منا ": فمعناه والله أعلم: أي ليس من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه من الدين.

قال الخطابي تحت حديث " من غَشَّ فليسَ منّا " : معناه ليس على سيرتنا ومذهبنا يريد أن من غش أخاه وترك مناصحته فإنه قد ترك اتباعي والتمسك بسنتي، وقد ذهب بعضهم إلى أنه أراد بذلك نفيه عن دين الإسلام، وليس هذا التأويل بصحيح، وإنما وجهه ما ذكرت لك، وهذا كما يقول الرجل لصاحبه أنا منك وإليك يريد بذلك المتابعة والموافقة، ويشهد بذلك قوله تعالى: (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .اهـ

ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتب الإفتاء
هيئة الإفتاء والقضاء
في الجيش الإسلامي في العراق

٣- الصحيح مع شرحه فتح الباري ٦٨/٩ | ٤- سورة العنكبوت : من الآية ٥١ | ٥- فتح الباري ٦٨/٩-٧٠ | ٦- مثال، يعني: فراش كما فسره أبو عبيد وهو مصرح به في روايات أخر. | ٧- غريب الحديث ١٦٩/٢-١٧٢ | ٨- معالم السنن ٢٩١/١ | ٩- رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا | ١٠- سورة إبراهيم ، آية: ٣٦ | ١١- معالم السنن ١١٨/٣

حتى لا نهزم .. لا بدّ من مواجهة
الخيانة والإساءة

بقلم : د. عماد الدين عبد الله
عضو المكتب السياسي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه : أما بعد ... فيقول الله تعالى:(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) (المائدة:٨٢)

ولا تـزال الايـام تأتينـا بالجديد لتؤكد عمليـا صدق هذه الآية القرآنيـة المباركة وانطبـاق أوصافها على من تحدثت عنهم، وآخرها تطاول المتهالك ياسر حبيب على أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، فجاء قرار مجلس الوزراء الكويتي بإسـقاط الجنسـية الكويتية عن الداعية الشيعي ياسر حبيب على أثر تطاوله السافر علـى أم المؤمنين الصديقة عائشـة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، نقلـة نوعية في القرار العربي ضد النفوذ الشيعي إذا ما تم الثبات عليه .

ونحـن إذ نحيـي هذا الموقف الـرادع جزئيا لظاهرة لها عمقهـا التاريخي، والمتجلية في تآمر الشـيعة على الأمة الإسلامية والنيل من رموزها الشامخة ولا سيما عندما تواجه أمتنا تحديات الاحتلال والغزو الأجنبي، فلطالما شـهد تاريخنـا مثل هذه الظواهـر ولكن غفلة المسلمين أو تغافلهم أو انخداعهم لحسـن نيتهـم أو لاغترارهم بزخرف القول، جعلهم يصمون آذانهم ويغمضون أعينهم عما يبثه الشـيعة من سموم وفتن ولا يسـتفزون إلا عند الرد، فيسارعون مطالبين بضرورة الكف عن التصعيد، ويبرر الداعون إلى عدم الرد بأن هذه فتنة تدفع إليها دول الغرب لإشغال الأمة عن حقيقة الصراع !!.

ولما كان الجيش الإسـلامي في العراق سـباقا في تبيين ومواجهة خطر النفوذ الإيراني الصفوي، ودوره الخبيث في المعركة وتداعياتها على الساحة العراقية، لذا نود أن نبين لأمتنا الحقائق الآتية:

أولا: يقـول الله تعـالى: (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْـلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْـتَطَاعُوا وَمَـنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُـمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: من الآية٢١٧).

إنَ ظاهـرة ياسـر حبيـب هي ظاهـرة متجددة منذ النشـوء السياسـي للشـيعة، وتتعاظم كلمـا دخلت الأمة الإسلامية أو أحد بلدانها صراعا مباشرا مع أعدائها، بل لا تخلو مرحلة تاريخية من عمر الأمة الإسلامية من خيانات مفضوحة ومؤامرات مكشوفة للشيعة مع أعداء الملة، ولا تعرضت الأمة إلى هزيمة أو انتكاسة إلا وكان من أعظم أسـبابها خيانة الشـيعة وغدرهم وموالاتهم لأعدائها، وهذه الخيانة والغدر والإساءة يتعاظم أمرها ويشـتد أثرها كلما قامت للشيعة دولة تعتنق مذهبهم وتسعى لتصدير مشروعهم، أو كانوا بطانة سوء لقادة الأمة، ولعل من أبرز محطات الخيانة والغدر ما يأتي:

- قيام القرامطة منذ عام ٢٩٤ هـ بارتكاب أبشع الجرائم بحق حجاج بيت الله الحرام، إذ قتلوا منهم ما يزيد على ٢٠ ألف حاج أعزل، وفي عام ٣١١ هـ قصد أبو طاهر القرمطي البصرة فقتل خلقا كثيرا من أهلها، وفي عامي ٣١٢ و٣١٥ هـ دخل الكوفة وعلى الرغم مـن تصدي أهلها له إلا أنه تمكن من التغلب عليهم وقتل أهلها، وفي عام ٣١٦ هـ عاث القرامطة فسادا في الأرض ولاسـيما في الرحبة فقتلوا خلقا كثيرا من أهلها، وتوجهوا في ٣١٧ هـ إلى مكة في يوم التروية، فقتلوا الحجيج في رحاب مكة وشـعابها، وفي المسـجد الحرام وفي جوف الكعبة وقتلوا منهم خلقـا كثـيرا، وقامـوا بردم بئـر زمـزم بإلقـاء القتلى فيها وهـدم قبتها، وخلعـوا الكعبة بنـزع كسـوتها عنها وتمزيقهـا، ثـم قـام رجل منهم بقلع الحجر الأسـود، فضربه بمثقل كان في يده وقال أيـن الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ فقلعه وأخذوه معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة، وفي هذه السنين نفسها، جاءت الروم إلى ديار المسلمين، ودخلوا بلدة يقال لها سُمَيساط وقاتلوا أهلها وغنموا جميع ما فيها، وضربوا بالناقوس في الجوامع أوقات الصلاة. وقد بين الخليفة العباسي المقتدر خيانة الشيعة للأمة وغدرهم بأهلها وتعاونهم مع أعدائها مخاطبا وزيره الشيعي ابن الفرات متهما إياه قائلا : لقد زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بالميل مع كل عدو يظهر ومكاتبته ومهادنته وإبعادك رجالي إلى الرقة وهم سيوف الدولة، فمن يدفع الآن؟ ومن الذي سلم الناس إلى القرمطي غيرك، لما يجمع بينكما من التشيع والرفض.

- محمد بن مقلة الوزير الشيعي للخليفة الراضي بالله فقد كاتب الديلم البويهيين يطمعهم في بغداد فكان له ما أراد فاستولوا عليها عام ٣٣٤ هـ ، وأقر الوزير ابن مقلة بخيانته إذ قال: (إنني أزلت دولة بني العباس وأسلمتها إلى الديلم لأني كاتبت الديلم وقت إنفاذي إلى أصبهان، وأطمعتهم في سـرير الملك ببغـداد، فانـي اجتنيت ثمرة ذلك في حياتي) . وأقام هؤلاء مأتمهم في عاشـوراء من كل محرم في الأعـوام (٣٥٣ و٣٥٤ و٣٦١ هـ) ، وكانوا يتعرضون فيها لأهل السنة ويقاتلونهم قتالا شديدا، في الوقت الذي كان الروم بقيادة نقفور يستبيحون المدن الإسلامية، فقد ورد حلب في مائتي ألف مقاتل بغتة في سنة ٣٥١ هـ وجال فيها جولة وفتحها عنوة، وقتل من أهلها من الرجال والنساء ما لا يعلمه إلا الله..

وفي عامي ٣٥٣هـ و٣٥٤ جاء نقفور إلى طرطوس وأذنة والمصيصة وقتل من أهلها نحو خمسة عشر ألفا وعاث فيها فسادا، وأغار في محرم ٣٦١هـ على الجزيرة وديار بكر فقتلوا خلقا كثيرا من أهلهما ودخلوا نصيبين ففعلوا مثل ذلك، يقول ابن كثير (البداية والنهاية: ١١/ ٢٥٠ وما بعدها) عن نقفور هذا وسبب تغلبه: «كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلبا وأشدهم كفرا، وأقواهم بأسا وأحدّهم شوكة، وأكثرهم قتلاً وقتالاً للمسلمين في زمانه، استحوذ في أيامه لعنه الله على كثير من السواحل، وأكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسرًا، واستمرت في يده قهرًا، وأضيفت إلى مملكة الروم قدرًا، وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدعة الشنيعة فيهم، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشوا البدع فيهم وكثرة الرفض والتشيع منهم، وقهر أهل السنة بينهم.

- وخيانة الفاطميين وغدرهم وتعاونهم مع الفرنجة فأشهر من نار على علم، ولم يؤثر أن الدولة الفاطمية قامت بغزو أو عمليات عسكرية ضد الفرنجة لتوطيد أركان الإسلام، بل الثابت تاريخيًا أنهم كانوا حربًا على أهل الإسلام سلمًا على أعدائه، فهم يضيقون الخناق على أهل السنة ويجيشون الجيوش لإرغامهم على التشيع، بينما يسالمون الفرنجة، بل يستنجدون بهم على أهل السنة، وغير ذلك من الأفعال.

ففي سنة ٤٩٠هـ أرسل بدر الجمالي وزير المستعلي – الفاطمي الشيعي – سفارة من قبله إلى قادة الحملة الصليبية الأولى تحمل عرضًا خلاصته أن يتعاون الطرفان للقضاء على المسلمين في بلاد الشام، وأن تقسم البلاد بينهما بحيث يكون القسم الشمالي من الشام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميون بفلسطين.

وفي سنة ٥٠٥هـ بعث السلطان غياث الدين عامله على الموصل ومعه جيش كثيف لقتال الفرنجة بالشام، فانتزعوا من الفرنجة حصونًا كثيرة، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير القائد مودود إلى جامعها ليصلي فيه، فجاءه باطني شيعي في زي سائل فطلب منه شيئًا فأعطاه، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات في ساعته، انتقاما من كسره للفرنج.

وفي عام ٥٦٥هـ كاتبوا الفرنجة ودعوهم لاجتياح مصر وحينما استجابوا لهم انضموا اليهم في محاربة جيش صلاح الدين الأيوبي وسعوا للقضاء عليه، ولكن الله أيد جنده فهزموا الفرنجة ومن معهم من الرافضة. ثم أرسل شاور الوزير للخليفة الفاطمي (العاضد) إلى أملريك ملك الفرنجة في بيت المقدس يستمده، ويستنصره على نور الدين محمود الشهيد، فسارع إلى إجابة طلبه، وأرسل له حملة أرغمت نور الدين على العودة بجيشه إلى الشام، ولكن سرعان ما عاود نور الدين المحاولة فاستنجد شاور بالفرنجة مرة ثانية وكاتبهم، ولما وصلت عساكر الفرنجة إلى مصر انضمت جيوش شاور والمصريين إليها والتقت بجيوش نور الدين بمكان يعرف بالبابين (قرب المنيا) فكان النصر حليف عسكر نور الدين محمود، وبعدها اتفق الفاطميون مع الفرنجة على حصار الإسكندرية لانتزاعها من يد صلاح الدين، وقام الطواشي مؤتمن الدولة الفاطمية بالكتابة من دار الخلافة بمصر إلى الفرنجة ليقدموا إلى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الإسلامية الشامية، ولكن جند صلاح الدين أمسكوا حامل الكتاب فحملوه إلى صلاح الدين فقرره، فأخرج الكتاب وانكشفت المؤامرة، فأمر بقتل الطواشي، وفي سنة ٥٦٩هـ - اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد – آخر خليفة فاطمي بمصر – وأن يفتكوا بصلاح الدين وكاتبوا الفرنج بذلك، وقاموا فعلا بثلاث محاولات اغتيال ضده ولكن الله سبحانه سلمه منها.

- وخيانات الوزيرين ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي وتعاونهما مع التتار لإسقاط بغداد وإبادة أهلها مشتهرة ذائعة، حتى أنه لما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير – الطوسي – ذلك فقتلوه رفسا، وهو في جوالق (وعاء كبير) لئلا يقع على الأرض شيء من دمه- كما يفعله أحفادهم اليوم بأهل السنة في العراق- وأشار الطوسي بقتل جماعة كبيرة – من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء وأولي الحل والعقد – مع الخليفة، ولما دخل التتار حلب عام ٦٥٧هـ وأراد صاحبها الاستنجاد بصاحب الكرك وملك مصر قال الأمير الشيعي زين الدين الحافظي يعظم شأن هولاكو، ويشير بعدم القتال ووجوب الدخول في طاعة هولاكو، فصاح به الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وضربه وسبه وقال: أنتم سبب هلاك المسلمين.

- وفي الدولة العثمانية سعت إيران الصفوية للتعاون مع أوربا للقضاء عليها ووقف زحفها نحو أوربا، وقد بين لونكريك في كتابه (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) التحالف الصفوي الأوربي مع ملك هنغاريا ضد العثمانيين لاحتلال العراق، كما بين التحالف الصفوي البرتغالي لاحتلال واقتسام منطقة الخليج لاسيما البصرة مقابل تقديم الأسلحة العسكرية لإيران ومساندتها في حربها ضد تركيا.

- وحينما زحف الاستعمار الأوربي نحو بلاد المسلمين كان الشيعة خير عون لهم في بلاد الهند، فكانوا ظهيرًا لأعداء الإسلام والمسلمين من الوثنيين الهندوس والسيخ والمستعمرين الإنجليز نكاية بأهل السنة.

- وفي العصر الحديث أسفرت إيران الصفوية عن نواياها تجاه دول الخليج العربي وصرح مسئول رسمي بالمطالبة بضم البحرين إلى إيران وبعض جزر في الكويت وغير ذلك.. وادعى أن نحو ٨٥٪ من سكان البحرين هم من الشيعة، وهم مضطهدون وعلى رأسهم رجال الدين الشيعة، واحتلت إيران ثلاث جزر إماراتية ورفضت كل الوساطات في حل الأزمة، وأعلن أبطحي مستشار رئيس الحكومة السابق محمد خاتمي: أنه لولا طهران لما احتلت واشنطن كابل ولا بغداد، ولا يزال دورهم السيئ متواصلا في لبنان ومصر والسودان وبلاد المغرب العربي.

- وفي السعودية قام محمد الحبشي عام ١٩٢٥ بالتجمع والشغب والتحرك وسط الشيعة لإثارة الفوضى، وفي عام ١٩٤٨ وصلت القلاقل الشيعية إلى حد الانفجار في مظاهرات واسعة النطاق وفوضى في منطقة القطيف بقيادة محمد بن حسنين الهراج، وقامت إيران بالتفجيرات في موسم الحج، وقامت شرذمة منهم بنبش بعض قبور الصحابة الكرام في مقبرة البقيع، وأخيرا رفع شيعة العراق عقيرتهم مدعين نصرة إخوانهم في السعودية الذين تجاوزت نسبتهم ٢٥٪ بزعمهم.

- وفي الكويت حدثت أعمال شغب وأخذ أحمد عباس المهري الشيعي الإيراني صهر الخميني بإثارة قضايا سياسية مثل قضايا الإسكان وإنصاف الشيعة، وأيدته إيران وهددت بالتدخل المباشر بسبب ذلك، ثم تم الإعلان عن وجود شبكة تجسس إيرانية شيعية تسعى للنيل من أمن الكويت، وأخيرا كانت ظاهرة ياسر حبيب.

ثانيا: إن خيانة الشيعة لا تقف عند أهل السنة والجماعة بل أصابت بشررها أئمة البيت العلوي رضي الله عنهم، مما يؤكد التغذية اليهودية الماسونية والصفوية الشعوبية لهذا السلوك، الرامي إلى تقويض الأمتين العربية والإسلامية فقد نقل الطبري في تاريخه (٨٩/٥ وما بعدها) تخاذل الشيعة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقالوا له: يا أمير المؤمنين لقد نفدت نبالنا وكلّت سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا فلنستعد بأحسن عدتنا... فأدرك علي أن عزائمهم هي التي كلت ووهنت وليس سيوفهم، فقد بدأوا يتسللون من معسكره عائدين إلى بيوتهم دون علمه، حتى أصبح المعسكر خاليًا، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير. فأدرك أن هؤلاء القوم لا يمكن أن تنتصر بهم قضية مهما كانت عادلة ولم يستطع أن يكتم هذا الضيق فقال لهم: ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس وما أنتم لي بثقة... وما أنتم بركب يصال بكم، ولا ذي عز يعتصم إليه، لعمر الله لبئس حشاش الحرب أنتم، إنكم تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم ولا تتحاشون، ثم قال لهم أمير المؤمنين علي: يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام، انجحر كل امرئ منكم في بيته وأغلق بابه انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها، المغرور من غررتموه ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، لا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وبين الحسن بن علي رضي الله عنهما خيانتهم له (كما تذكر مصادرهم كالاحتجاج للطوسي ص ١٤٨) إذ يقول: أرى معاوية خيرًا لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وأخذوا مالي، والله لأن آخذ من معاوية ما أحقن به دمي في أهلي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلما، والله لأن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير.

ونقل ابن الأثير في الكامل (٤/ ٣٧) تحذير ابن عباس للحسين رضي الله عنهم من غدر الشيعة وخيانتهم فقال له: فإنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وإن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، وحينما حصلت الخيانة والغدر كان دعاء الحسين عليهم مشهورا حيث قال قبل استشهاده (كما يروي الطبرسي في أعلام الورى ٩٤٩): اللهم إن متعتهم ففرقهم فرقًا واجعلهم طرائق قددا ولا ترضي الولاة عنهم أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا.

ثالثا: يجب علينا أن لا نأخذ خيانات الشيعة وغدرهم في بعدها السياسي والإعلامي فحسب، وإنما هي دين يتعبدون الله به، ويعدونها قربة يتقربون بها إلى الله بزعمهم، بل لها قواعد مقررة في أصولهم، يبررون على ضوئها عداءهم لأهل السنة والجماعة وخيانتهم واستباحة دمائهم وأموالهم، وموالاة أعدائهم وإعانتهم عليهم، فهم يرون كفر من لا يؤمن بولاية أئمتهم وكفر من خالفهم،



يقول الخوئي في كتابه (مصباح الفقاهة: ٢/١١) : أنه لا أخوة ولا عصمة بيننا وبين المخالفين، ويقول الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة: ١٨/ ٤٦٣): جواز قتلهم -أي النواصب- واستباحة أموالهم.

وهم يعدون أهل السنة من ألدَ أعدائهم ويطلقون عليهم النواصب بلا استثناء، يقول شيخهم البحراني في كتابه (المحاسن النفسانية ١٤٧): بل إن أخبارهم -أي الأئمة- عليهم السلام تنادي بأن النواصب هو ما يقال له عندهم سنيا، ويقول التيجاني في كتابه (الشيعة هم أهل السنة ١٦١): وغني عن التعريف أن مذهب النواصب هو مذهب أهل السنة والجماعة، وما دخلوا في مشروع مع أهل السنة إلا لاستمالتهم إلى مذهبهم أو الغدر بهم، وعلى سبيل المثال مشروع التقريب بين السنة والشيعة الذي دعوا إليه كانت نتيجته كما بين د. يوسف السباعي بقوله : فُتحتْ دار للتقريب بين السنة والشيعة في القاهرة منذ أربعة عقود، لكنهم رفضوا أن تُفتَح دور مماثلة في مراكزهم العلمية كالنجف وقُم وغيرها لأنهم إنما يريدون تقريبنا إلى دينهم.

ويقول ناصر الدين الهاشمي في كتابه (موقف أهل السنة في إيران): ليس أدل على خداع دعوى التقريب من سوء حال أهل السنة في إيران، فلو صدقوا في دعواهم لقاربوا بين صفوف الشعب الإيراني سنة وشيعة. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

رابعا: إن من المقرر لدى الشيعة أن لا جهاد عندهم قبل خروج قائمهم، ولا قتال لهم إلا ما كان ضد أهل السنة، وإذا واجهوا عدوا فإما لدواع عشائرية تحقق أغراضهم، أو ادعاءً لنيل شرف لا يستحقونه، أو غرروا ببعض السذج من أهل السنة فأمدوهم ليكونوا محرقة ليضربوا هدفين بحجر واحد، وما تعرضت الأمة الإسلامية لعدوان إلا كانوا مع أعدائها يبتغون من وراء ذلك تأمين أنفسهم ومصالحهم والنيل من أهل السنة لإضعاف شوكتهم، وكل ذلك يتجلى اليوم في احتلال أمريكا للعراق فقد كان الشيعة – المعممون والعلمانيون- عرَابي هذه الحرب وأدواتها، وأصبحوا المتسلطين على هذا البلد تحت مظلة الاحتلال الأمريكي، والمتربصين بالمشروع الجهادي، والمنتقمين من أهل السنة بحرب طائفية شغلتهم أحيانا كثيرة عن الإثخان بالعدو المحتل، والقائمين على الميليشيات الصفوية وفرق الموت والأجهزة الحكومية التي قامت بأبشع جرائم القتل والإبادة ضد المدن المقاومة للاحتلال ولمشاريعه وضد أهلها.

خامسا: إن الأمة أن أرادت أن تتجاوز أزماتها وتنعم بالأمن والاستقرار والسيادة، فعليها أن تواجه المشروع الإيراني الصفوي في العراق والمنطقة بالمثل، وإن أي تخلّ عن المشروع المقاوم والمناهض للاحتلال الأمريكي والنفوذ الإيراني، هو بداية الهزيمة للأمتين العربية والإسلامية، وستكونان خاضعتين وأسيرتين وذليلتين تحيط بهما قضبان المشروع الصهيوصليبي الصفوي، وأي حوار أو تعايش مع إيران لا بد أن يكون من موضع القوة، وعلى وفق السنن المشروعة في التعايش والتعارف والتدافع بين الأمم والجماعات، وعلى الدول العربية أن تفكر بشكل جاد وموضوعي وعملي في جعل العراق المقاوم – وهو جزء منها- أحد أذرعها التي تضغط بها على إيران لا العكس، فربما يكون القادم أشد.

سادسا: على الغيارى من المسلمين في أي بلد يحل به الخبيث ياسر أن يتقربوا إلى الله به ، انتقاما لتطاوله على أم المؤمنين وزوج النبي صلى الله عليه وسلم الصديقة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ليكون عبرة لغيره .

اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين، وأيد بنصرك عبادك المرابطين المجاهدين الصادقين، اللهم عليك بكل من أراد بالمسلمين سوءا، اللهم عليك بكل من ينال ويطعن بكتابك ونبيك وصحابته وأهل بيته وأزواجه، اللهم إنا نجعلك في نحورهم وقنا يا ربنا شرورهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ضياع الهوية الإسلامية... الأسباب والنتائج

بقلم : أ. محمد الرشيد

لاشك في أن الأمة تمتلك مفردات هوية قوية قادرة على المواجهة، وهي أصلاً أنتجت لتحقيق مهمة الاستخلاف: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)، أي أن دور الأمة لا يقف عند المواجهة المعبرة عن ردة الفعل، بل يعلوه إلى مستوى المبادرة والدعوة للقيم الربانية، في عالم يعاني مجاعة روحية تقتل روح الإنسان، فعلى صعيد مكونات الهوية تتميز الهوية الإسلامية بمفردات أساسية ومناخ يندر أن يتوفر لهوية أخرى وبالكثافة نفسها، والتماسك الذي تتمتع به وهي: وحدة العقيدة ووحدة اللسان العربي وكذلك وحدة التأريخ.

والمفردة الرابعة هي قوة الحضارة الإسلامية، ولكن رب سائل يسأل: لماذا هذه الهوية أصبحت أشبه بالمفقودة أو تكاد تعدم؟ ونسأل سؤالا إجابةً على ذلك السؤال: هل أهل القبلة من المسلمين يعرفون حقيقة من هم؟ وما هو مشروعهم الحضاري؟ وماذا يريدون؟ لا أظن أن صورة المشهد العربي الإسلامي يمكن أن تعطي اليوم النتيجة المبتغاة، واستزادة في الإجابة على السؤال، سنوضح أسباب ضياع الهوية الإسلامية على مستوى الشعوب الإسلامية خصوصاً في وقتنا الحاضر:

١- خيانة الله ورسوله: ولايقصد بالخيانة على مستوى الأفراد حصراً، ولكن على مستوى الشعوب، لأن الفتنة تعم، يقول الله تعالى: (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً). فإذا كان السواد الأعظم من أفراد المجتمع المسلم يخون الله في المعاصي والسيئات والكبائر والموبقات، فسينزل سخط الله على الجميع؛ لأن الفتنة تشمل الجميع، ولكن من كان يتقي الله ولا يخونه ستكون تلك الفتنة امتحاناً له، أما أصحاب المعاصي فإن عادوا إلى الله وإلا أصابهم الهلاك بذلك السخط، وكما ذكرنا سابقاً فالخيانة هي عدم تقوى الله، وعبادة البشر طمعاً في ملكهم ومالهم أو خوفاً من قوتهم وجبروتهم، وتركاً للتنزيل وهجراً للسنة النبوية المطهرة.

وإحلال الحرام وتحريم الحلال، ومعاداة أهل العلم والعلماء وحب المال والسلطة واقتحام الكبائر، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)، قال ابن كثير، الصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار، اللازمة والمتعدية، وقال ابن زيد: نهاكم أن تخونوا الله والرسول كما صنع المنافقون.

٢- الاستعمار: في بدايات القرن الماضي وفي أثر سقوط دولة الخلافة الإسلامية، تعرضت المنطقة إلى هجمة إمبريالية غربية، ونظراً لأن الحملة استخدمت شوكة القوة فقد استفزت مكامن القوة الكامنة لدى الأمة، تفجرت على أثرها حركات التحرر التي حققت استقلالاً جغرافياً فقط، ولكن على قاعدة التجزئة وفي مناخ الأقلمة، وهكذا تلاشت الجماعة الإسلامية، وتفتت الهوية الإسلامية، وتكرس مفهوم الدولة القطرية، وبعد ذلك دعم الغرب التيارات التي تبنت تجزئة الأمة والتي لم تتمكن من إنتاج هوية متماسكة بسبب غياب المكون الإسلامي، وهو اللبنة الأساسية في تماسك الهوية في الثقافة العربية والإسلامية، وعلى ذلك الصعيد لم تنجح تلك التيارات في إدارة الأزمة، ووصلت المنطقة إلى ما هي عليه من فراغ أمني وسياسي غير مسبوقين وإلى يومنا هذا، أصبح وضع الأمة اليوم أصعب لعدم العودة إلى الإسلام ولو على مستوى الفكرة.

٣- التبعية للغرب: وهكذا أصبحت التبعية للغرب سمة يتزين بها بعض المنتسبين إلى المثقفين في الغرب، والطريف في الأمر أن رؤيتهم للغرب رؤية انتقائية تكيل بمكاييل مختلفة، مما يؤكد أن معيار الهوى عند بعضهم له حضور فاعل في تقويم الأفكار والمبادئ، ولهذا ترى بعض أولئك المقلدين إذا طالبوا بالتحديث وبناء

المجتمعات (العصرانية)، فإنهم لا يعتنون إلا بتجاوز القيم الاجتماعية والثقافية، وبالدرجة الأولى تجاوز الثوابت العقدية الإسلامية، فإذا تحدثوا أو كتبوا عن قيم الحرية لم يلتفتوا إلا لفتح باب الفجور على مصراعيه، وإذا ارتفعت أصواتهم بالإصلاح ذهبت أنظارهم مباشرة إلى التغريب السياسي والاقتصادي ومحاصرة المؤسسات الإسلامية ورموزها العلمية والدعوية، لذلك كان لتلك التبعية الفضل الكبير في ضياع الهوية الإسلامية عند أولئك التابعين المقلدين.

٤- التربية الخاطئة: إن المفهوم التربوي الصحيح لا يفصل التربية عن الدعوة والعلم والجهاد والعمل للدين، فهي كلها خطوط واحدة متوازية كما في الآية الكريمة: (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، وكان لفقدان التربية الصحيحة ونقصها وانعدام التوجيه لكل عمل أو فكر وخلق، ليس في العمل الدعوي وحده وإنما في العمل التطبيقي لمفهوم الإسلام والمنهجية الصحيحة، أثر في ضياع الهوية الإسلامية. ووفق مفهوم التربية الشامل ينبغي لأية أمة أن تجيب على هذين السؤالين قبل التحرك بأي اتجاه، ومن باب أولى في حالة خوض الصراعات، والسؤال الأول يحدد إطار الهوية وهي الجدار المتماسك الذي يحفظ الكينونة، والسؤال الآخر يحدد الهدف الذي تسعى إليه الأمة، وما هي رسالتها؟ وغياب الإجابة عن هذين السؤالين يعني بالمفهوم التربوي سيولة في القيم، وفوضى فكرية مؤداها التيه والضياع.

٥- الحرب على القيم: إن كل أمة تستمد أخلاقها من قيمها، وتنبع القيم من عقيدتها، وفساد الأخلاق يجعل الأمة في خطر عظيم، ولكن عندما يصل النخر إلى قيمها، فإنها تكون على شفا هاوية.. وقد كانت الحرب على الأمة الإسلامية في هذا المجال طيلة قرن كامل: حرباً أخلاقية، كان الناس يَفسُدون وينحرفون، ولكنهم في قرارة أنفسهم كانوا يشعرون بوخز الضمير الديني، كانوا يحسون بأنهم يتجاوزون خطوطاً حمراء وثوابت عالية، لكن في العقدين الأخيرين حدثت تطورات خطرة، فقد تغير سمت الحرب وتغير اسمها، ولم يعد أعداء الأمة يرضون بانحراف الظاهر مع إنكار –ولو يسير- في المجتمع أو القلب، فرق كبير بين مجتمع منحرف ومجتمع إباحي، وفي إطار سعيهم إلى إعادة تشكيل المجتمعات الإسلامية، ونقلها من حالة الانحراف إلى حالة الإباحية، كانت حرب القيم... بحيث أصبحت القيم في وضع يرثى له من الاختلال والاضطراب، خاصة في التصادم مع الخطاب الإسلامي، ويصف بعض المحللين الحالة الراهنة بمرحلة (تشويه الوعي)، وهذه الوضعية القيمية المختلة، يراد تطويرها للوصول بها إلى مرحلة (تغييب الوعي) حيث تحل منظومة قيمية إباحية متكاملة محل المنظومة المختلة القائمة، وبالتالي تغييب الهوية الإسلامية تماماً.

٦- تدمير الأسرة: تمر معظم الأسر المسلمة اليوم بمرحلة صعبة جداً أمام التردي الذي وقع فيه المسلمون، والتخلف الذي جنوه لأنفسهم، وأمام هذا كله ينهار الإنسان يوماً بعد يوم، وتكثر التحديات ساعة بعد أخرى، وهذه التحديات جارفة للاسرة التي هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، والهدف هو تدمير تلك اللبنة من خلال انحلالها وتفسخها، ويبدأ ذلك من البرامج والأفلام والمسلسلات الإباحية، وينتهي والعياذ بالله بالرذيلة، فإذا دمرت تلك الأسرة وابتعدت عن طاعة ربها ولزوم أوامره، دمر بالتالي المجتمع الإسلامي وفقد هويته الإسلامية التي بنيت على أساس المودة والرحمة بين الأزواج والتربية الربانية للأولاد، إن تدمير الأسرة هو عبارة عن تحديات داخلية وخارجية حضارية وتربوية وقانونية، وبالتالي ابتعاد عن منهج النبوة وضرب الإسلام في عقر داره.

قد يكون المسلمون بالفعل أضعف من اللازم وهم مقبلون على منازلة ما ذكر من نوازل حاضرة ومستقبلية، إلا أن ما عند الله –تعالى– هو من نواميس السنن، وكثيرا ما يجري بخلاف ما يظن البشر، فالضعيف قد يقوى والقوي قد يضعف، والله – تعالى – سيودع قوة المسلمين في ضعفهم ولكن بعد التوكل على الله، ومعالجة أمراض الهوية المذكورة آنفاً، والسبب: (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ).



من قوانين صناعة القوة...
موِّه على نواياك

إن موازين القوى تبنى على جملة من القوانين ، وكلما كنت متقنا لتوظيفها في عملك العسكري ، كلما كنت أقرب إلى تحقيق الهدف من عدوك لأن كليكما يستخدم القوانين نفسها أحيانا، ولأهمية هذا الأمر سنفرد لكل قانون مقالة لاستيفائه من جميع جوانبه.



القانون الأول: موّه على نواياك

الحكم (بيان القانون): أبْقِ العدو في حالة عدم توازن وفي الظلام، بعدم الكشف عن الغرض من وراء أعمالك، لأنهم إن لم يكن لديهم أي مؤشر على نواياك، فلن يستطيعوا تهيئة دفاع. دعهم يقطعون مسافة بعيدة عبر الطريق الخاطئ، وطوقهم بكمية كافية من الدخان، بحيث يكون الأوان قد فات عندما يدركون مقاصدك.

القسم الأول (جانب تطبيقي): استخدم أهدافاً مموهة وأشياء ملهية تبعد العدو عن الأثر

إذا حدث في أي وقت أثناء الخداع الذي تمارسه أن خامر العدو أدنى شك في ماهية نواياك، فقد ضاع كل شيء. لا تعطهم فرصة تحسس ما الذي تهدف إليه: أبعدهم عن الهدف بوضع أشياء تضليلية في طريقهم كي يتلهوا بها عن الشيء الحقيقي. استخدم الإخلاص المزيف والإشارات الغامضة. وضع أهدافاً مضللة لرغباتك. فعندما يعجز العدو عن تمييز الأصيل من الزائف، فإنهم لن يقدروا على معرفة هدفك.

لا تنكشف كمخادع، حتى ولو كان من المستحيل أن يعيش المرء اليوم إلاّ كمخادع. ودع أعظم دهاء لك يكمن في تغطية ما يبدو دهاء. (بلثازار غرا سيان، ١٦٤٨-١٦٠١)

مراعاة القانون

في سنة ١٨٥٠، شهد أوتو فون بسمارك، الذي كان في الخامسة والثلاثين من عمره، وهو نائب في البرلمان البروسي، نقطة تحوّل في حياته العملية. وكان موضوع الساعة آنئذ هو توحيد الدويلات العديدة (بما فيها بروسيا) التي كانت تنقسم إليها ألمانيا، وحرب ضد بروسيا الجارة الجنوبية القوية التي كانت تأمل في إبقاء الألمان ضعفاء ومختلفين، بل وتهدّد بالتدخّل إن حاولوا أن يتّحدوا. وكان الأمير وليان، ولي عهد بروسيا وملكها التالي، يؤيد شن الحرب، وقد التفّ البرلمان حول القضية، وكان مستعداً لدعم أية تعبئة للقوات. وكان المعارضون الوحيدون للحرب هو الملك آنذاك، فريدريك وليام الرابع، ووزراؤه الذين كانوا يفضّلون تهدئة النمساويين الأقوياء.

وكان بسمارك طيلة حياته العملية مؤيداً مخلصاً، بل ومحبّاً بعاطفة عنيفة لقوة بروسيا وعظمتها. وكان يحلم بتوحيد ألمانيا وبشن الحرب على النمسا، وإذلال البلد الذي طالما حاول إبقاء ألمانيا مجزأة. كان بسمارك جندياً سابقاً يرى الحرب عملاً مجيداً.

وبعد كل شيء، كان هذا هو الرجل الذي سيقول في وقت لاحق: «إن أعظم مسائل زماننا سوف لا تحطمها الخطب والقرارات، بل الحديد والدم».

وعلى الرغم من كون بسمارك وطنياً متحمساً، ومحباً للمجد العسكري، فقد ألقى خطاباً في البرلمان في أوج حمّى الحرب أذهل كل الذين استمعوا له. قال: «ويل للسياسي الذين يشن حرباً بدون سبب وتظل أسبابها قائمة وحقيقية بعد انتهاء الحرب! فبعد الحرب ستنظرون جميعاً إلى هذه المسائل بطريقة مختلفة. فهل ستجدون عندئذ شجاعة تمكّنكم من النظر إلى الفلاح الذي يتأمّل رماد مزرعته المحترقة، وإلى الرجل الذي صار مقعداً كسيحاً، والأب الذي فقد أولاده؟». ولم يكتف بسمارك بالاستطراد في الحديث عن جنون هذه الحرب، بل الأغرب من كل شيء أنه راح يمتدح النمساويين ويدافع عن أعمالهم. وكان ذلك ضد كل ما يمثله بسمارك. فكانت نتائج ذلك فورية. إذا ما المعنى المحتمل لوقوف بسمارك ضد الحرب؟ تحيّرَ النواب الآخرون، وغيَّرَ العديدون منهم أصواتهم. وفي آخر الأمر فاز الملك ووزراؤه بما أرادوا، وتم تجنب الحرب.

وبعد بضعة أسابيع من ذلك الخطاب سيّء الصيت، قام الملك، عرفاناً منه بحديث بسمارك تأييداً للسلام، بتعيينه وزيراً في الحكومة. وبعد بضع سنين صار رئيساً لوزراء بروسيا. وبذلك الدور قاد بلده وملكه المحب للسلام إلى حرب ضد النمسا في آخر الأمر، فسحق الإمبراطورية السابقة، وأقام دولة ألمانية عظمى تقف على رأسها بروسيا.

التفسير (والنتيجة)

في زمن الخطاب، سنة ١٨٥٠، أجرى بسمارك حسابات عديدة. فأولاً كان يشعر بأن المؤسسة العسكرية البروسية، التي لم تواكب الجيوش الأوروبية الأخرى لم تكن مستعدة للحرب، وأن النمسا يمكن في الحقيقة أن تكسب الحرب، وتلك نتيجة كارثية على المستقبل، وثانياً إذا خسرت بروسيا حرباً كان بسمارك قد أيّدها، فإن ذلك سيكون خطراً جسيماً على حياته العملية. وكان الملك ووزراؤه المحافظون جانحين إلى السلم، وكان بسمارك يبغي السلطة. فكان الجواب هو إبعاد الناس عن الأثر بتأييد قضية كان يحتقرها، وقول أشياء لو قالها غيره لضحك عليها. وهكذا خدع بلداً بأكمله. فقد جعله الملك وزيراً بسبب خطابه ذلك.. وهو منصب صعد منه إلى سدة رئاسة الوزراء.

ومن المؤكد أن بسمارك كان أذكى رجل دولة على الإطلاق في حينه. فلم يَشُكَّ أحدٌ في نواياه في هذه الحالة. ولو أعلن نواياه. متذرّعاً بأن من الأفضل الانتظار الآن والقتال في المستقبل. لما كسب النقاش. إذْ أن أغلبية البروسيين كانت تريد الحرب. وتعتقد خطأً أن الجيش البروسي متفوّق على النمساويين. ولو تملّق الملك. وطلب منه أن يعيّنه وزيراً في مقابل تأييده للسلام. لما نجح في ذلك أيضاً. إذ أن الملك ما كان ليثق في طموحه. بل لَشكَّ في إخلاصه.

غير أنه خدع الجميع بكونه غير مخلص إطلاقاً. وبإرساله إشارات مضلّلة. فأخفى قصده. وحصل على ما أراد. فهذه هي القدرة على إخفاء النوايا.

مفاتيح السلطة (والقوة)

إن معظم الناس كتب مفتوحة. فهم يقولون ما يشعرون به. فيتفوّهون بآرائهم في كل مناسبة. ويكشفون خططهم ونواياهم على الدوام. لعدة أسباب:

فأولاً: إن من السهل والطبيعي أن يتحدَّث المرء عن مشاعره وخططه للمستقبل. ذلك أن السيطرة على لسانك ومراقبة ما تكشفه أمر يتطلّب جهداً.

وثانياً: يعتقد كثيرون أنهم بإخلاصهم وانفتاحهم يكسبون قلوب الناس ويظهرون طيبتهم. وهم في ذلك مخدوعون كثيراً. فالإخلاص في الحقيقة سلاح غير ماضٍ. يُدْمي أكثر من أن يقطع. فمن المحتمل أن يغيظ إخلاصُك الناسَ. ومن الأفضل أن تكون حكيماً في تفصيل كلماتك. وإخبار الناس بما يحبون سماعه. فذلك أجدى من الحقيقة الخشنة والقبيحة التي تستشعرها أو تفكّر بها. **والأهم من ذلك أن انفتاحك بلا خجل يجعلك شخصاً معروفاً يسهل التنبؤ بأعماله ويكاد يكون من المستحيل احترامه أو خشيته.** ولن يكتسب السلطةَ شخص لا يوحي بمثل هذه المشاعر. **فإذا كنت متعطشاً للسلطة. فسارع إلى وضع الإخلاص جانباً. ودرّب نفسك على فن إخفاء نواياك. أتقن ذلك الفن تكن يدُك هي العليا على الدوام.**

ومن المتطلبات الأساسية لإخفاء المرء نواياه. حقيقة بسيطة عن الطبيعة الإنسانية: **إن غريزتنا الأولى تهيب بنا أن نثق بالمظاهر دائماً. فإننا لا نستطيع أن نعيش متشككين بحقيقة ما نراه ونسمعه.** متخيّلين باستمرار أن المظاهر تخفي شيئاً آخر. فذلك يرهقنا ويرعبنا. وهذه حقيقة تجعل من السهل على المرء نسبياً أن يخفي نواياه. وما عليك ببساطة سوى أن تدلي أمام أعين الناس هدفاً يبدو أنك راغب فيه. وغرضاً يبدو أنك تسعى إليه.. فيظنون أن المظهر حقيقة. وما أن تتركز أبصارهم على الطُّعم. حتى يعجزوا عن ملاحظة ما تسعى إليه بالفعل. وفي ممارستك للخداع والتضليل. ضع إشارات متناقضة. كالرغبة في عدم الاكتراث. وعندئذ لن تتمكن من إبعادهم عن الأثر فحسب. بل ستشعل رغبتهم في دعمك.

ومن بين الخطط الانتهازية المؤقتة التي كثيراً ما تكون فعّالة في وضع أشياء ملهية مضلّلة. هي أن تظهر بمظهر من يدعم فكرة أو قضية مناقضة فعلياً لعواطفك (وقد استخدم بسمارك مثل هذه الخطة فكانت كبيرة الفاعلية في خطابه سنة ١٨٥٠). وسيصدّق معظم الناس أنك تعرَّضت لتجربة غيَّرت ميولك. إذ أن من غير المألوف أن يعبث المرء بمثل هذه الخفّة بشيء عاطفي كآراء المرء وقيَمِه. والشيء نفسه ينطبق على أي هدف وهمي للرغبة: فلتظهر أنك تريد شيئاً أنت في الواقع غير مهتم به على الإطلاق. وسوف تُبْعِدُ أعداءك عن الأثر. فيرتكبون كل أنواع الأخطاء في حساباتهم.

أثناء الحرب الإسبانية في سنة ١٧١١. أراد دوق مارلبورو. قائد الجيش الإنكليزي. أن يدمّر قلعة فرنسية هامة لأنها كانت تحمي طريقاً عاماً حيوياً إلى داخل فرنسا. ومع ذلك فإنه كان يعرف أنه إذا دمَّرها فسيفطن الفرنسيون إلى ما يريد. أي أن يتقدَّم سالكاً ذلك الطريق.

فبدلاً من ذلك اكتفى بالاستيلاء على القلعة وتركها في حراسة حامية من قواته. متظاهراً أنه يريد الاحتفاظ بها لغرض ما في نفسه. فهاجم الفرنسيون القلعة. وتركهم الدوق يستعيدونها. وما أن صارت في أيديهم ثانية حتى قاموا هم بتدميرها. متصورين أن الدوق كان يريدها لسبب هام. أما وقد ذهبت القلعة. فقد صار الطريق غير محميّ. وتمكّن مارلبورو من الزحف إلى داخل فرنسا بسهولة.

استخدم مثل هذه الخطط الانتهازية بالطريقة التالية: **أخفِ نواياك. ولكن ليس بالانغلاق (الذي ينطوي على المخاطرة بالظهور بمظهر المتكتّم وجعل الناس متشككين) ولكن بالتحدث عن رغباتك وأهدافك حديثاً – لا نهاية له – على أن لا تكون هي أهدافك الحقيقية. فبذلك تصيب ثلاثة عصافير بحجر واحد:** تظهر بمظهر الودود والمنفتح والواثق بالآخرين؛ وتخفي نواياك. وترسل منافسيك وأعداءك لتنفيذ مشاريع حمقاء لا طائل وراءها ومضيعة للوقت.

ومن الأدوات القوية الأخرى في إبعاد العدو والمنافس عن الأثر: **الإخلاص الزائف.** إذْ أنهم يخطئون في تفهم الإخلاص بسهولة فيظنونه أمانة وصدقاً. وتذكّر أن غريزتهم تدفعهم للوهلة الأولى إلى تصديق المظاهر. وبما أنهم يقدرون الأمانة والصدق ويريدون أن يؤمنوا بصدق مَنْ حولهم. فإن من النادر أن يرتابوا منك أو يتكشف لهم عملك على حقيقته. فظهورك بمظهر مَنْ يؤمن بما يقول يعطي كلماتك وزناً كبيراً. فهذه الطريقة هي التي خدع بها أياغو عطيلاً ودمَّره: فمع عمق عواطفه. وإخلاصه الظاهري في التعبير عن قلقه من خيانة ديدمونة المفترضة. كيف كان عطيل سيمتنع عن الثقة به؟ وكانت هذه أيضاً هي الطريقة التي رتب بها المتفنن في الإقناع بالوكِيْد وِيلْ خديعته للمغفلين. فقد بدا عليه أنه يؤمن إيماناً عميقاً **بالهدف التمويهي** الذي أدلى به أمامهم (حصان سباق من سلالة مزيفة امتدحه بإفراط) بحيث جعل حقيقته شيئاً ثابتاً يصعب الشك فيه. ومن المهم طبعاً أن لا توغل في هذا الميدان أكثر من اللازم. ذلك أنك إذا ظهرت متحمساً بشكل مبالغ فيه فإنك ستثير الشكوك. فكن حذراً واجعل الآخرين يصدّقونك (قولا وفعلا) وإلاّ فسوف ينكشف أمر خديعتك ويعرف الآخرون أنها تركيبة ملفّقة.

واجعل إخلاصك الزائف سلاحاً فعّالاً في إخفاء نواياك **قم بتبني الإيمان بالنزاهة والاستقامة في الأمر موضع الخداع** باعتبارهما من القيم الاجتماعية الهامة. وافعل ذلك بأكبر قدرٍ ممكن من العلانية. وأكد على موقفك من هذا الموضوع بكشف فكرة نابعة منِ القلب بين الحين والآخر. رغم أنها قد تكون بلا معنى ولا صلة لها بالقضية طبعاً. فقد كان وزير نابليون. تاليران. يتقن فن كسب ثقة الناس بحيث يبدو وكأنه يفشي لهم أسراراً وكأنه يحدثهم من أعماق قلبه. وهذه الثقة المتظاهر بها – **الخدعة التمويهية** – تستدرج بدورها ثقة حقيقية في نفوس الآخرين.

وتذكّر: أن أفضل المخادعين يفعلون كل ما باستطاعتهم لتغطية نواياهم الخبيثة. فهم يعتنون بإظهار جوّ من الأمانة والنزاهة في مجالٍ ما (ضد الأعداء) لإخفاء انعدام الصدق في مجالات أخرى. فالأمانة عندهم مجرَّد خدعة تمويهية أخرى في ترسانة أسلحتهم.

القسم الثاني (جانب تطبيقي): استخدم سواتر دخانية كأقنعة لتغطية أعمالك

الخداع هو الخطة المثلى دائماً، ولكن أفضل أنواع الخداع تتطلَّب ستاراً من الدخان لإبعاد انتباه الناس عن غرضك الحقيقي، والمظهر الخارجي الناعم الرقيق غير اللافت للأنظار – كوجه لاعب البوكر العادي الذي تصعب قراءة أية إشارة على مظهره –كثيراً ما يكون أفضل ستار دخاني يخفي نواياك خلف قناع من المظهر المريح والمألوف، وإذا استدرجتَ المغفل عبر طريق معروف لديه فإنه لن يفطن إليك عندما تقوده إلى فخ. (تسلل عبر المحيط في رابعة النهار، وهذه الوسيلة لخلق جبهة تصبح في آخر الأمر مشبّعة بجوٍّ من الألفة يتيح للاستراتيجي أن يناور دون أن يراه أحد بينما تُدرَّب العيون على رؤية الأشياء المألوفة الواضحة). "الاستراتيجيات الست والثلاثون" مقتبسة من كتاب فن الحرب الياباني.

مراعاة القانون

في منتصف العشرينات من القرن العشرين، بدأ قادة الحرب الأهلية الأقوياء في الحبشة يدركون أن شاباً من النبلاء يدعى هيلا سيلاسي، **معروفاً أيضاً باسم راس طفاري**، كان آخذاً في التغلب عليهم جميعاً والاقتراب من نقطة يستطيع عندها أن ينصّب نفسه زعيماً عليهم، ويوحِّد البلاد لأول مرة منذ عشرات السنين، ولم يستطع معظم منافسيه أن يفهموا كيف استطاع هذا الرجل النحيل الهادئ الدمث السلوك أن يفرض سيطرته، ومع ذلك، فقد استطاع هيلا سيلاسي في سنة ١٩٢٧، أن يدعو زعماء الحرب، واحداً تلو الآخر، إلى أديس أبابا كي يعلنوا ولاءهم ويعترفوا به قائداً.

وقد سارع بعضهم إلى ذلك، وتردَّد بعضهم الآخر، ولكن واحداً منهم تجرَّأ على تحدِّي سيلاسي بصورة كلية، وهو ديجازماك بالشا، من سيدامو، كان بالشا هذا رجلاً عاصفاً صاخباً، ومحارباً عظيماً، وقد اعتبر القائدَ الجديدَ ضعيفاً وغير جدير بالزعامة، وقد تعمَّد البقاء بعيداً عن العاصمة، وأخيراً أصدر سيلاسي، بطريقته اللطيفة والصارمة معاً، أمراً لبالشا بالحضور، فقرر ذلك الزعيم الحربي أن يطيع ولكن بطريقة يقلب فيها الوضع رأساً على عقب ضد هذا المطالِب بعرش الحبشة، سوف يأتي إلى أديس أبابا بالسرعة التي يقررها هو، ومعه جيش من عشرة آلاف رجل، وهذه قوة كافية للدفاع عن نفسه، بل ربما تشعل حرباً أهلية، فعسكر بقوته الرهيبة في وادٍ يبعد ثلاثة أميال عن العاصمة، وراح ينتظر كأنه ملك.. ليضطر هيلا سيلاسي إلى المجيء إليه.

وقد أرسل سيلاسي رسلاً بالفعل طالباً من بالشا أن يحضر حفلة مسائية مقامة على شرفه، ولكن بالشا لم يكن أحمق، كان يعرف التاريخ، كان يعلم أن ملوك الحبشة وأسيادها السابقون استعملوا الحفلات كفخاخ، فعند وصوله إلى هناك، وامتلائه بالشراب، فإن سيلاسي سيأمر بالقبض عليه أو قتله، ولكي يعطي إشارة بتفهمه للموقف وافق على المجيء إلى الحفلة ولكن مع اشتراط السماح له بإحضار حرسه الشخصي (٦٠٠) من أفضل جنوده، مسلَّحين جميعاً ومستعدين للدفاع عنه وعن أنفسهم، ولدهشته أجابه سيلاسي بمنتهى التهذيب بأنه يتشرف بأن يستضيف مثل هؤلاء المحاربين.

وفي الطريق إلى الحفلة، حذَّر بالشا جنوده من أن يسكروا، وأوصاهم باليقظة والاحتراس، وعند وصولهم إلى القصر كان سيلاسي في أفضل مزاج رائق ساحر، فأظهر الاحترام والتبجيل لبالشا، وعامله وكأنه بأمسّ الحاجة إلى موافقته وتعاونه، ولكن بالشا رفض أن يقع تحت تأثير هذا السحر، وحذَّر سيلاسي من أنه إذا لم يعد عند حلول الظلام فإن لدى جيشه أوامر بمهاجمة العاصمة، وكان رد فعل سيلاسي أن أظهر بأن عدم الثقة هذه قد جرحته وآلمته، وعلى المائدة، عندما حان وقت إنشاد الأغاني التقليدية على شرف زعماء الحبشة، تعمَّد سيلاسي أن يسمح فقط بالأغاني التي تمجِّد الزعيم الحربي لسيدامو، وبدا لبالشا أن سيلاسي خائف وقد أرعبه هذا المحارب الذي لا يمكن التغلب على فطنته وحضور بديهته، وعندما شعر بالشا بالتغيير، اعتقد أنه سيكون الآخذ بزمام المبادرة في قابل الأيام.

وعند نهاية الأمسية، زحف بالشا بجنوده عائداً إلى معسكره وسط الهتافات وطلقات التحية، وعندما نظر فيما وراء كتفه إلى العاصمة، بدأ بإعداد خطته بعيدة الأمد، حول كيفية زحف جنوده منتصرين إلى قلب العاصمة في غضون أسابيع، ووضع سيلاسي في مكانه الذي يستحقه، إمّا في السجن أو في القبر، غير أنه عندما صار على مرأىً من معسكره اكتشف أن شيئاً رهيباً قد حدث، فحيث كانت هناك خيام ملوَّنة تمتد على مدى النظر لم يكن هناك شيء سوى الدخان المتصاعد من النيران المطفأة، فأي سحر شيطاني هذا؟

وأخبره شاهد عيان بما حدث، فأثناء الحفلة، تسلَّل جيش كبير يقوده أحد حلفاء سيلاسي إلى المعسكر بالشا عبر طريق جانبي لم يكن بالشا قد رآه أو تنبه له، غير أن ذلك الجيش لم يأتِ للقتال، كان سيلاسي يعلم بأن بالشا سوف يسمع ضجة المعركة فيسارع إلى العودة مع حراسه الشخصيين الستمائة، ولذلك سلَّح هيلا سيلاسي قواته بسلال من الذهب والنقود، فطوّقوا جيش بالشا، وانطلقوا لشراء كل قطعة من أسلحتهم عن آخرها، أما الذين رفضوا فقد تم تخويفهم بسهولة، وفي غضون بضع ساعات كانت قوة بالشا بكاملها قد نزع سلاحها وتفرَّق جنودها.

وعندما أدرك بالشا الخطر، قرر أن يسير جنوباً بجنوده الستمائة ليعيد تجميع قوّته، غير أن الجيش نفسه الذي انتزع أسلحة جنوده اعترض طريقه، كان المخرج الآخر أن يزحف على العاصمة، ولكن سيلاسي قد نشر جيشاً كثيفاً للدفاع عنها، وكان – مثل لاعب الشطرنج – قد تنبأ بحركات بالشا وتمكن من قتل الشاه على رقعة ذلك الشطرنج، ولأول مرة في حياته، استسلم بالشا، ولكي يكفِّر عن سيئاته في العجرفة والطموح، وافق على دخول دير للرهبان.

التفسير (والنتيجة)

لم يتمكن أحد من فهم سيلاسي تماماً على مدى فترة حكمه الطويلة كلها، فالأحباش يحبّون أن يكون قادتهم أشداء، ولكن سيلاسي، الذي كان يتخفّى وراء واجهة رجل لطيف مهذب محب للسلام، حكم فترة أطول من أي واحد منهم، لم يكن يغضب أو يفقد صبره قطّ، بل يستدرج ضحاياه بالابتسامات الحلوة، ويهدهد يقظتهم بجاذبيته وتذلّله لهم قبل أن يهاجم، وفي حالة بالشا اعتمد سيلاسي على حذر الرجل وارتيابه في كون الحفلة مصيدة، وكانت كذلك بالفعل، ولكن ليس بالطريقة التي توقعها الحذر بالشا، بل إن طريقة سيلاسي في تبديد مخاوف بالشا – بتركه يجلب حرسه إلى الحفلة، وجعله على رأس المكرمين المحتفى بهم فيها، بل وجعله يشعر وكأنه هو المسيطر – قد خلقت ستاراً كثيفاً من الدخان حجب عن بالشا العمل الحقيقي الذي كان يجري على مسافة ثلاثة أميال، وهكذا يؤتى الحذر من مأمنه.

تذكّر: إن المصابين بجنون الارتياب، والحذرين كثيراً ما تكون خديعتهم أسهل. **اكسب ثقتهم في مجالٍ ما ليصبح لديك ستار دخان يعميهم عن مجال آخر، بما يسمح لك بالزحف ومحقهم بضربة مدبرة،** إن الإشارة الآسرة اللطيفة التي تبدو مخلصة، أو التي توحي للشخص الآخر بأنه هو المتفوق.. هذه كلها أساليب مثالية للخداع والإلهاء.

إن ستار الدخان، إذا تم وضعه في مكانه المناسب، سلاح ذو قوة عظيمة، فقد مكَّن هيلا سيلاسي اللطيف الجامِل من تحطيم عدوه تحطيماً كلياً دون إطلاق رصاصة واحدة.

لا تقلّلوا من تقدير قوة طفاري، إنه يزحف كالفأر ولكن له فكّا أسد.

آخر ما تفوّه به بالشا، من سيدامو، قبل دخوله إلى الدير.

مفاتيح السلطة (والقوة)

إن كنت تعتقد أن المخادعين أناس ملوَّنون يضلّلون بأكاذيب معقدة ومتقنة وقصص مبالغ فيها فأنت على خطأٍ جسيم، **إن أفضل المخادعين يستعملون واجهات عادية لا يبرز فيها شيء لافت للأنظار،** فهم يعلمون أن الكلمات الطنانة وإشارات التهويل تثير الشكوك على الفور، وبدلاً من ذلك فهم يغلّفون مقاصدهم بكل ما هو مألوف وعادي ومبتذل ولا ضرر فيه، ففي حالة الحبشة كان ذلك الشيء هو التذلل المضلل الذي أبداه سيلاسي، وهو بالضبط ما كان بالشا يتوقعه من زعيم حربي أضعف منه.

فعند تنويمك ليقظة المغفلين بما هو مألوف ومعروف لديهم فلن يلاحظوا الخداع المرتكب خلف ظهورهم، وهذا مشتق من حقيقة بسيطة:

إن الناس (كطبيعة بشرية) لا يستطيعون أن يركّزوا إلاّ على شيء واحد في كل مرة، ومن الصعب عليهم أن يتخيّلوا أن الشخص الرقيق اللطيف وغير المؤذي الذي يتعاملون معه منهمك في الوقت نفسه بنصب شيء آخر، وكلما كان الدخان في ستارك الدخاني أكثر رمادية وتجانساً كان ذلك أفضل لإخفاء نواياك، وباستخدام الأهداف التمويهية والإلهائية يمكنك تشتيت انتباه الأعداء بصورة فعّالة، وبالستار الدخاني تهدهد يقظة ضحاياك فتجتذبها إلى شبكتك، وبما أن في ذلك تنويماً مغناطيسياً، فإنه غالباً ما يكون أفضل أسلوب لإخفاء نواياك.

إن أبسط أشكال الستار الدخاني هو التعبير المرتسم على الوجه. فخلف الواجهة الخارجية العادية غير المقروءة يمكن التخطيط لكل أنواع المصائب المؤذية والقاتلة دون أن يكتشف ذلك أحد. وهذا سلاح تَعَلَّم أقوى القادة العسكريين والسياسيين في التاريخ كيف يتقنون صنعه واستعماله. وكان يقال إنه لم يستطع أحد أن يقرأ وجه فرانكلين ديلانو روزفلت. وقد كتب ستندال عن تاليران: «لم يكن هناك وجه أقلّ من وجهه صلاحية كمقياس على ما يعتمل في داخله». وكان هنري كيسنجر يثير ملل خصومه على مائدة المفاوضات إلى أقصى حد بصوته الرتيب ونظرته الخالية من أي شيء، واستظهاره للتفاصيل التي لا تنتهي. وعندما تبدأ أعينهم في الزوغان من السأم كان يضربهم على حين غِرّة ويسهل عليه تخويفهم. وكما يشرح كتيّب للعبة البوكر في القمار: «إن اللاعب الجيّد عندما يمسك بأوراقه نادراً ما يكون ممثّلاً. وبدلاً من ذلك فإنه يتدرَّب على السلوك العادي الناعم ويقلّل إلى أدنى حد ممكن أنماط الحركة والتعبير التي تسهل قراءتها، مما يشعر خصومه بالحيرة وخيبة الأمل، ويتيح له قدراً أكبر من التركيز».

ونظراً لأن ستار الدخان مفهوم قابل للتكيف، يمكن ممارسته على عدد من المستويات، كلها تستفيد من المبادئ النفسية لتشتيت الانتباه وللتضليل. ومن أكثر ستائر الدخان فعالية الإشارة النبيلة. فالناس يريدون أن يعتقدوا بأن الإشارات النبيلة ظاهرياً هي إشارات أصلية حقيقية، لأن ذلك الاعتقاد سارّ، ولذلك فإنهم نادراً ما يلاحظون إلى أي مدى يمكن أن تكون هذه الإشارات خادعة.

ومن الستائر الدخانية الفعّالة الأخرى: النمط، أي تأسيس سلسلة من الأعمال التي تغوي الضحية بالاعتقاد بأنك سوف تستمر بالطريقة نفسها. فالنمط يستغل الحالة النفسية للمتوقع: إذ أن سلوكنا يتمشى مع أنماط، أو هكذا نحب أن نعتقد.

في سنة ١٨٧٨/ قام بارون المطاط الأميركي جي غولد بخلق شركة بدأت تهدد احتكار شركة البرق المعروفة باسم الاتحاد الغربي (وسترن يونيون). فقرر مدراء تلك الشركة أن يشتروا شركة غولد بكاملها، وقد اضطروا إلى إنفاق مبلغ ضخم، ولكنهم حسبوا أنهم بذلك تدبَّروا أمر التخلُّص من منافس مزعج. غير أن غولد عاود الكرَّة بعد بضعة أشهر، متذمِّراً من كونه قد عومل بإجحاف. فدشّن شركة ثانية لتنافس وسترن يونيون والشركة التي اشترتها. فحدث الشيء نفسه مرة أخرى، اشترت وسترن يونيون شركته الثانية كلها كي تخرسه. وسرعان ما بدأ النمط لمرة الثالثة، ولكن غولد مدَّ يده الآن إلى الوريد الوِداجي كي يقوم بعملية ذبح. فشن معركة استيلاء دامية استطاع فيها أن يحصل على السيطرة الكاملة على وسترن يونيون. ذلك أنه أقام نمطاً خدع مدراء الشركة بجعلهم يعتقدون أن هدفه هو شراؤهم لشركاته كلها بأسعار محترمة، وبعد دفع السعر له كانوا يرتاحون، وقد عجزوا عن ملاحظة أنه كان يسعى لرفع قيمة ما يقامر به. وتكمن قوة النمط في أنه يخدع الشخص الآخر بجعله يتوقع عكس ما تقوم به فعلياً.

ومن نقاط الضعف النفسية التي تصلح لرفع ستار من الدخان، الميل إلى الظن الخاطئ بأن المظاهر حقيقة، والشعور أنه إذا ظهر أن شخصاً ما ينتمي لمجموعتك، فإن هذا الانتماء لا بد أن يكون حقيقياً. وهذه العادة تجعل التركيبة المتجانسة بدون شقوق أو ندوب واجهة شديدة التأثير، والخدعة ههنا بسيطة، **وهي أن تختلط ببساطة بِمَن حولك**. وكلما كان اختلاطك أفضل تَناقصَ تعرضُك للشكوك.

ففي أثناء الحرب الباردة في خمسينات القرن العشرين وستيناته، كما صار مفضوحاً الآن، كان عدد وفير من الموظفين المدنيين يمررون أسراراً إلى السوفييت، وظلوا سنوات دون أن يحسّ بهم أحد لأنهم كانوا في الظاهر أشخاصاً محترمين، وقد تعلموا في المدارس المقبولة الجيدة، وتنطبق عليهم مواصفات أبناء الشلة انطباقاً كاملاً. **إن الاختلاط بدون تميز هو ستار الدخان المثالي للتجسس، وكلما تمّ بشكل أفضل كان ذلك أفضل لإخفاء النوايا**. وتذكّر: إن إطفاء الوانك الفاقعة يتطلب صبراً وتواضعاً كي تضع قناع عدم البروز، فلا تيأس إذا اضطررت إلى ارتداء مثل هذا القناع العادي المألوف — إن عدم إمكانية قراءة المنافسين والأعداء لك كثيراً ما يكون هو الذي يجذبهم إليك ويجعلك شخصاً ذا قوة وتأثير.

صورة وعبرة:



الخروف لا يسطو أبداً
الخروف لا يخدع أبداً

والخروف أبكم ومطيع بشكل رائع، والثعلب إذا وضع جلد خروف على ظهره فإنه يستطيع أن يعبر إلى داخل قن الدجاج تماماً.

الشاهد: هل سمعت قط أن جنرالاً بارعاً ينوي مفاجأة قلعة، يعلن خطته لعدوه؟ اخفِ غرضك واكتم تقدمك، ولا تكشف مدى خططك إلى أن تصبح نافذة المفعول ولا يمكن معارضتها، حتى ينتهي القتال. احصل على النصر قبل أن تعلن الحرب، وبكلمة، قلد الناس المحاربين الذين لا تُعرَف خططهم، إلاّ عن طريق البلدان المدمرة التي جاسوا خلالها.

(نينو دي لنكلو، ١٧٠٦-١٦٢٣)

الانقلاب

لن ينجح أي ستار دخان، أو هدف تضليلي، أو إخلاص مزوّر أو أي تدبير آخر للتمويه والإلهاء، إذا كانت لديك قبل ذلك سمعة ثابتة بأنك مخادع. ومع تقدمك وتحقيقك نجاحاً وانتصاراً، تتزايد صعوبة تغطيتك لمكرك. فيعرف الجميع أنك تمارس الخداع، فإذا استمررت في لعب دور الساذج فإنك تعرض نفسك لأن تبدو أشد الناس نفاقاً، وهذا يضيق عليك مجال المناورة تضييقاً شديداً. وفي مثل هذه الحالات فإن من الأفضل لك أن تعترف، وأن تظهر بدور الوغد الشريف، وأحسن من ذلك دور الوغد التائب، وعندئذ لن يقتصر الأمر على حصولك على إعجاب الآخرين بسبب صراحتك، ولكن الأعجب من ذلك وأغرب أنك سوف تتمكن من الاستمرار في مؤامرتك.

وأخيراً، فإن من الأعقل والأحكم أن تبعد الانتباه عن أغراضك بعرض مظهر خارجي عادي لطيف مألوف. ومع ذلك فإن هناك حالات تكون فيها الإشارة البراقة الألوان والبارزة هي خطة تشتيت الانتباه. ولقد كان كبار المشعوذين الدجالين في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر يستخدمون الدعابة والإمتاع ليخدعوا جمهورهم. فكان الجمهور يدوخ من العرض الكبير، فلا يلاحظ نوايا الدجالين الحقيقية. وهكذا يظهر الدجال نجم الشعوذة بنفسه في المدينة في عربة سوداء كالليل البهيم تجرها خيول سوداء، وبصحبته مهرجون، ومشاة على الحبال المشدودة، ونجوم تسلية، يجتذبون الناس إلى استعراضه لأكاسير الحياة والصفات التدجيلية. فكان المشعوذ يجعل المتعة المؤنسة تبدو وكأنها هي الشيء الهام، بينما يكون الشيء الهام فعلاً هو بيع تلك الأكاسير والوصفات التدجيلية.

فمن الواضح أن الاستعراض والإمتاع من الأدوات والحيل الممتازة لإخفاء نواياك، غير أنها لا يمكن أن تُستَخدَم بصورة غير محدودة، فقد يصاب الجمهور بالسأم ويصبح متشككاً، ويكشف الحيلة في آخر الأمر. والحقّ أن المشعوذين كانوا يضطرون إلى الانتقال من مدينة إلى أخرى، قبل أن يشيع بين الناس أن وصفاتهم السحرية المزعومة لا فائدة فيها وأن الإمتاع ليس سوى خدعة.

ومن جهة أخرى، فإن الناس الأقوياء ذوي الواجهات المألوفة، أمثال: تاليران، وروتشيلد وسيلاسي، يستطيعون ممارسة خداعهم طيلة عمرهم، فعملهم لا يَبْلَى ولا يكف عن الإقناع قطّ، ونادراً ما يثير الريبة، وإذن فستار الدخان الملون ينبغي استعماله بحذر، وفقط عندما تكون المناسبة صحيحة.

حــوار

د.ابراهيم يوسف الشمري | الناطق الرسمي

مع | صحيفة العرب

- سلاح المقاومة هو سلاح بيد الشعب العراقي للدفاع عنه ولحمايته بعد التحرير.
- مشروع المقاومة هو مشروع تحرير وليس مشروع سلطة.
- إن قيادة الجيش الإسلامي كلها مشروع فداء وتضحية أينما كانت.

في ظل المستجدات سواء على الساحة العراقية أو في جماعة الجيش الإسلامي في العراق، وللوقوف على حقيقة المواقف وتجلية لرؤية ذوي الشأن، أجرت جريدة (العرب) القطرية حوارا موسعا مع د. إبراهيم الشمري الناطق الرسمي باسم الجيش الإسلامي في العراق، ويسر مجلة الفرسان أن تعيد نشر نص المقابلة بحسب ما ورد عن مكتب الناطق الرسمي، وفيما يلي نص الحوار:

العرب: ما هي حقيقة إقالة قيادة الخارج في الجيش الإسلامي ؟ وهل ذلك بداية لاختلافات داخل التنظيم بشكل عام؟

- الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فنحن نرحب بكم ونشكر لكم تواصلكم معنا ومتابعتكم لشؤون المقاومة العراقية، وجوابا على سؤالكم هذا نقول:

إنه ليس في الجماعة شيء يسمى قيادة الداخل أو الخارج، فضلا عن أن يقوم من يسمون أنفسهم قيادة الداخل بعزل من سموها قيادة الخارج، وهذا الأمر لا حقيقة له ولا وجود على الأرض، فكل ما في الأمر أن الجيش الإسلامي قام بفصل بعض الأفراد على فترات متباينة، بسبب عدم التزامهم بضوابط الجماعة وسياساتها ومنهجها الشرعي وبعد أن استفرغت الوسع في إصلاحهم، فصلتهم ببيان داخلي إذ ليس من عادة الجماعة التشهير بأحد، خصوصا إذا كان من أبنائها، فقام بعض القاعدين على الرفوف ولصوص الفرص، بالالتفاف على مجموعة منهم وتهيئة الأموال وشبكة من العلاقات المشبوهة والمواقع الإعلامية، لإظهار الأمر على إنه انشقاق، وبالتالي سرقة اسم الجيش الإسلامي في العراق، وإقحامه بمشاريع مشبوهة.

وبعد أن عجز أصحاب المشاريع الهدامة عن جر الجيش إلى مشاريعهم تلك، أقدموا على هذه الخطوة المفضوحة والبائسة، ونحن إذ نعلن ذلك نؤكد بأن الجماعة لم تكن أقوى مما هي عليه اليوم، وأن الجماعة لديها مصادرها الرسمية لتلقي الأخبار عنها، وليس من المعقول أن تتلقى أخبار أحد من غير مصادره الرسمية والمعلنة.

العرب: ظهرت بعض الشخصيات التي تنتمي للمجلس السياسي للمقاومة العراقية في الخارج ومنها ينتمي إلى الجيش الإسلامي وأنتم اليوم تنفون وجود قيادة في الخارج، أين الحقيقة ؟

-نحن لم نقل أنه لا توجد قيادات في الخارج، بل قلنا أن قيادة الجماعة تتواجد حيث يحتاج إليها العمل الجهادي، سواء في الداخل أو في الخارج، ففي خارج البلد عمل كثير يخدم المقاومة العراقية، لفك الحصار الذي يفرضه العدو على مشروعها، ولكن ما ننفيه بشدة هو التقسيم الذي يقصد منه التشويه، وكأن القيادات عندما تخرج إلى الخارج فإنها تذهب للفسحة أو الاصطياف، ألم يستشهد الأخ المبحوح رحمه الله وهو في فندق بالإمارات، وأين استشهد فتحي الشقاقي، وغيرهم كثير من قيادات المقاومة الفلسطينية؟ ونؤكد هنا أن قيادة الجيش الإسلامي كلها مشروع فداء وتضحية أينما كانت، وأن الجماعة قد نمت وكبرت وكان لها هذا الإثخان الكبير بالعدو نتيجة لتلاحم قياداتها مع قواعدها وهو ما يحاول العدو النيل منه.

العرب : من هي المجموعة التي أصدرت بيان عزل قيادة الخارج وما الهدف من وراء ذلك ؟

-قد أجيب عن هذا السؤال في السؤالين السابقين، ولو لا اهتمام البعض بذلك لما استحق أن يكتب فيه شيء، وإن كان المقصود بالسؤال الأسماء، فإننا نعتذر عن ذلك إذ ليس من ديننا وأخلاقنا ولا سياساتنا المتبعة في الجماعة، التشهير بالمسلمين مهما كان نوع الخلاف بيننا وبينهم، فالجماعة عندما تفصل أحدا من أفرادها فإنها لا تفصله من الإسلام – نعوذ بالله – ، بل تبقى له حقوق الإسلام من الأخوة، والنصيحة وستر العيوب وغيرها.

العرب: بالعودة إلى الأوضاع في العراق، أعلنت القوات الأميركية سحب قواتها من العراق وفقا للاتفاقية الأمنية، برأيكم من أجبر تلك القوات على الانسحاب؟

-الذي أجبر القوات الأمريكية على الانسحاب هو شدة ضربات المقاومة، وما يقال من أن هذا الانسحاب قد تم وفق الاتفاقية الأمنية، ما هو إلا خداع وزيف يقصد منه حفظ ماء وجه القوات الأمريكية كي تنسحب تحت برقع هذه الاتفاقية،

ولو كانت هذه الأحزاب التي تشكل الحكومة العراقية الحالية تريد تحرير العراق لما استقدمت أمريكا لاحتلاله أصلا، فهذه الأحزاب هي نفسها قد وقعت على احتلال العراق في مؤتمر لندن، وكلها كانت تسمي الاحتلال الأمريكي تحريرا، ولكن اليوم بعد أن عجز الاحتلال الأمريكي أمام المقاومة وأذعن بوجوب الانسحاب، أظهر خدعة الاتفاقية الأمنية كي تكون غطاءً مزدوجا يغطي على الجريمتين معا، جريمة استقدام القوات من قبل هذه الأحزاب وجريمة احتلال العراق من قبل الأمريكان.

العرب: هل تعتقدون أن اميركا انسحبت وسوف تكمل انسحابها من العراق بنهاية عام ٢٠١١ كما تنص الاتفاقية الامنية على ذلك ؟

-نحن لا نثق بأمريكا ووعودها، ما نثق به بعد الله عز وجل هو السواعد المؤمنة المتوضئة، وبيدها سلاحها وعزمها على استمرار الجهاد، حتى تحرير العراق من كل أشكال الاحتلال التي يتعرض لها، مهما كانت صفة هذا الاحتلال أو جنسيته أو غطاؤه.

لقاء

د.ابراهيم يوسف الشمري | الناطق الرسمي

مع | صحيفة العرب

العرب: ما هو حجم خسائر الجيش الاميركي في العراق بعد سبع سنوات من الاحتلال ؟

-قامت هيئة الإعلام المركزي في الجيش الإسلامي في العراق بالتعاون مع المكتب العسكري بعمل إحصائية لعمل الجماعة، وخسائر العدو نتيجة هذا العمل للسنوات السبع الماضية، من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٩ فكانت بالشكل التالي، تجاوز عدد قتلى العدو على يد مقاتلي الجماعة أكثر من ثلاثين ألفاً، بينهم أكثر من مائتي ضابط، وألفان وخمسُمائة وتسعةٌ وأربعون، سقطوا برصاص قناصي الجماعة، وأضعافُ هذه الأعداد من الجرحى، ومن الآليات، عشرة آلاف وخمسمائة وثمانية وسبعون آلية، أما الطائرات فقد بلغت مائةً وتسعاً وأربعينَ طائرة.

فما بالك إذا أضيفت لهذه الأرقام خسائر العدو على يد بقية الجماعات الجهادية والمسلحة في العراق، وهذا هو ما أجبر الأمريكان على الإذعان لمطلب الانسحاب من العراق، إذ لا يعقل أن تخسر أمريكا ٤٠٠٠ ونيف من الجنود –حسب ادعائها- وتحتل العراق ذا ٤٣٨,٥ ألف كيلو متر مربع من المساحة، وفيه من المخزون النفطي المعلوم ما يربو على ١١٢ مليار برميل من النفط، فضلا عن غيره من الثروات، ثم تنسحب وتترك كل هذا.

العرب: يقال أن ايران هي التي انتصرت في الحرب الاميركية على العراق، انتم ماذا ترون ؟

-إيران لم تدخل الحرب كي تنتصر، وإنما قامت بالتعاون مع أمريكا ثم سرقت المشروع الأمريكي ووضعت مشروعها مكانه، وما مكنها من ذلك هو الغباء الأمريكي. وإن المقاومة قد أكدت أن مشروعها قائم على تحرير العراق من كل أشكال الاحتلال الذي تعرض له، أمريكيا كان أم إيرانيا.

العرب: النصر الذي حققته المقاومة العراقية ذهب هدية على طبق من ذهب لايران والاحزاب السياسية في العراق ، هل هذا الكلام صحيح؟

-مشروع المقاومة هو مشروع تحرير وليس مشروع سلطة، والأحزاب الحاكمة مشروعها مشروع سلطة، وهي تابعة لإيران وبينهما تزاوج في الولاء والمصالح، وبالتالي ليس ثم علاقة بين مشروع المقاومة ومشروع الأحزاب الحاكمة التابعة لإيران.

العرب: الى من سوف توجه المقاومة العراقية سلاحها؟ وهل هذا السلاح سوف يبقى بين ايدي الفصائل اذا فعلا انسحبت القوات الاميركية نهائيا من العراق ؟

-سلاح المقاومة هو سلاح بيد الشعب العراقي للدفاع عنه، وعندما تحرر المقاومة بلدها فإن هذا السلاح سيستخدم في حماية الشعب العراقي. فالعراق غابة من الأسلحة مختلفة الولاءات والاتجاهات، ولا يمكن أن نتحدث عن سلاح المقاومة ونزعه، قبل أن تكون هناك دولة تحمي الشعب وتستند في شرعيتها إلى ثوابت الأمة.

العرب: هل مازالت المقاومة العراقية فعالة في العراق ؟

نعم بحمد الله تعالى وعملها يتنوع وإدارتها للمعركة أكثر كفاءة من ذي قبل.

العرب : كيف تنظرون من زاويتكم الخاصة الى الازمة السياسية في العراق وتأخر تشكيل الحكومة رغم مضي ستة اشهر على الانتخابات؟

- ننظر لها كجزء من فشل مشروع الاحتلال، فبوش بشر عند احتلاله العراق بالديمقراطية والتداول السلمي للسلطة، وها هي الديمقراطية الأمريكية تنتحر في العراق وتلفظ أنفاسها الأخيرة، فالخاسر لا يريد أن يسلم بهزيمته، فأين هو التداول السلمي السلس للسلطة؟ ثم أنه لا يوجد شيء في واقع العراق يسمى تداول سلمي أو انتخاب حر، فتزوير الأحزاب للانتخابات ولإرادة الناس، ماض على قدم وساق، ومن نعم الله على المقاومة أنها دحرت جزئَيِ المشروع الأمريكي الصلب المتمثل بالقوات العسكرية، وجزئه الناعم المتمثل بالديمقراطية الأمريكية وما تتبجح به من قيم حرية الإنسان وإعلاء شأن العدالة. إذ جرى فضح المشروع الأمريكي، وبدؤوا يخجلون من إطلاق كلمة الديمقراطية ونشرها. فبدؤوا بالتحدث عن مصطلح الإصلاح والحكم الصالح، بدلا من لفظ الديمقراطية المنتحرة.

العرب: من يملك زمام الامور في عراق اليوم وبعد مضي سبعة سنوات على الاحتلال ؟

-المعركة ما زالت دائرة فيقتلون منا ونقتل منهم والحرب سجال، ولكن المهم أن العزم وإرادة القتال لا زالت موجودة عند المقاومة.

العرب: هل من الممكن أن تدخلوا في مفاوضات مع القوات الاميركية لترتيب اوضاع البلاد قبيل الانسحاب النهائي للقوات الاميركية؟

-نحن أعلنا عن شروطنا للمفاوضات، وجرت جولتان من المفاوضات، اشتركنا فيها مع إخواننا في المجلس السياسي للمقاومة العراقية، فالمفاوضات من حيث المبدأ ليست مرفوضة أو مرغوبة بحد ذاتها، فالعبرة في ما تفضي إليه من نتائج.





دراسات إعلامية

المقاومة العراقية وتأثيرها على السياسة الإعلامية الأمريكية(2)

بقلم : رئيس التحرير

حرب المصطلحات

حرب المصطلحات جزء هام وفرع مؤثر من الحرب النفسية لاسيما في الأزمات والحروب، لأن المصطلحات تلعب دورا كبيرا في رسم السياسات وفي افتعال الأزمات، فنجد مصطلحا واحدا له تداعيات وآثار تؤدي إلى حروب دولية دموية، وصراعات حضارية، أو يدفع العدو للاستسلام، أو يصرف الرأي العام عن أحداث معاصرة أو مستقبلية.

تأثير المصطلحات وتداعياتها

وليست المشكلة في ذات المصطلحات لاسيما الجديدة بقدر ما هي في المفاهيم التي تعبر عنها، فهي تطرح قضايا عدة، على رأسها: نوعية العلاقة بين المصطلح وما يحيل إليه من مفاهيم، وما يولد من تداعيات خطيرة على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي الذي يتحرك فيه هذا المصطلح.

فالسياق السياسي والاجتماعي والثقافي يعكس نوعية المفاهيم التي ينقلها المصطلح على مستوى الحياة التي يعيشها من توجه إليه -أفرادا وجماعات- عند استعماله ومن ثم انتشاره، وحين ذاك توظفه الجهات المولدة لهذه المصطلحات.

وتشتد خطورة المصطلحات حينما تكون جزءا من حرب نفسية، ترمي من خلالها القوى المتصارعة إلى النيل من معنويات عدوها وخصومها، سعيا إلى كسب المعركة أو التغطية على بعض الخسائر.

وفي ظل التأثير الكبير لوسائل الإعلام على الرأي العام المحلي والخارجي، اشتد توجه الإدارات العسكرية للعناية بحرب المصطلحات، فضلا عن أن المصطلح الإعلامي يتسم بالغزارة في حجم ومساحة المحاور المتعددة التي يستهدفها، إذ يروج لمفاهيم يختلط فيها البعد السياسي والفكري والعلمي والاجتماعي، ولذلك نجد بعض الباحثين ينظر إلى أن دراسة المصطلحات ومفاهيمها هي دراسة للمجتمع، ولا ينظر إليها باعتبارها مفردات مجردة، وإنما ينظر إلى القيمة الفعلية التي تمنحها أهميتها واثارها، وهنا تكمن خطورة هذا الأمر، إذ قد يعبر مصطلح واحد عن مجتمع بأكمله وليس لأهله يد في صياغته أو تحديده.

السياسات الأمريكية وحرب المصطلحات

وظفت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها سيطرتهم على وسائل الإعلام، وتبعية وسائلنا الإعلامية لها، أو اختراقها من قبلهم، في اعتماد سياسات محددة في التلاعب الاصطلاحي، ساهمت في تغييب الحقيقة أو تشويهها، وخلق مساحة من الغموض مكنتهم من تمرير ما يهدفون إليه في النهاية -وإلى مرحلة أو حد ما-.

ولخطورة الأمر ومعايشتنا لآثاره وتداعياته سنحاول في هذه الدراسة الوقوف على أهم السياسات التي اتخذتها الإدارة الأمريكية بشأن حرب المصطلحات أثناء غزوها للعراق واحتلاله، ومنها:

أولا: المصطلحات ليست مجرد كلمات عابرة بل هي أسس لغوية ومرجعية تشارك في تحديد قوانين اللعبة السياسية وهي قوالب لغوية – ذهنية- تسهم في صياغة وقولبة الرأي العام.

ففي ظل غياب الخطاب البديل المؤثر أو ضعفه، فإنه من خلال هذه السياسة يتم اختراق الوعي العربي والإسلامي بتدرج تراكمي وبالتالي تخلق فضاء ووعيا ثقافيا زائفا، يفقد الهوية ويميع الانتماء ويغير بوصلة الولاء، ويؤسس لمنظومة مفاهيم وقيم تتولد عنها طرق جديدة في الرؤية، تتماشى مع طروحات (الولايات المتحدة الأمريكية) في الفهم، وذلك بتشكيل منظومة إسلامية على الطريقة الأمريكية، وفي المعالجة، باعتماد الحوار والسلام (ونبذ العنف –الجهاد- بشكل تام).

ثانيا: ترويج مصطلحات فضفاضة يتم من خلالها توظيف القرارات والقوانين الدولية بما يحقق مصالح القوى الكبرى.

فعلى سبيل المثال، الترويج لمصطلح الإرهاب هذا المصطلح الذي شاع على ألسنة السياسيين والمفكرين وترسخ في وسائل الإعلام، ولكن لو سألت ما معنى هذه الكلمة؟ فانك لن تجد جوابا! ليس بسبب العجز اللغوي عن التوصل إلى تعريف واضح ﴿ جامع مانع﴾، ولكن هنالك قصد في إبقاء هذه الكلمة بلا معنى محدد ليبقى فضفاضا يمكن استخدامه بحسب الحاجة! يقول الإعلامي نبيل دجاني: لا يوجد توافق على تعريف ما هو فعل الإرهاب، وبالتالي إعطاء هذا الفعل تقييما اجتماعيا وأخلاقيا، ومن المستبعد حصول مثل هذا التوافق.

وأدت التعبئة الأمريكية في وسائل الإعلام إلى طغيان رؤية الحرب على الإرهاب، كما يراه المحافظون الجدد الذين يسيطرون على الإدارة الأمريكية –آنذاك- وكذلك طغى الطابع أو الصورة الدينية -الإسلامية والعربية بالتحديد- على وصف الإدارة الأمريكية وأبواقها من وسائل إعلامية وكتّاب رأي للحرب على الإرهاب، وبذلك حددت الإدارة الأمريكية والمؤسسات السياسية والإعلامية التابعة لها العدو الجديد -الإسلام والجهاد- في حربها العالمية وسعت إلى كسب التأييد.

ثالثا: التلاعب بالرأي العام ومحاولة صرفه عن حقيقة الصراع لإبقاء تواصله في دعم الحرب من خلال مصطلحات مموهة أو مزدوجة.

لقد وظفت أمريكا في حربها على العراق مصطلحات سعت إلى ترسيخها في إعلامها وإعلام من يواليها حتى أصبح من الصعب تجاوزها من قبل المؤسسات السياسية والإعلامية حتى المناهضة للإحتلال، كما استخدمت مصطلحات جديدة مموهة أو مزدوجة من أجل التأثير على الرأي العام وخداعه ومن ثم استقطاب تأييده، أو على الأقل عدم معارضته للحرب أو استمرارها.

- فمن الأمثلة على المصطلحات الجديدة المتجددة المموهة: (إسقاط النظام، المقاتلون الأجانب، التحرير، الديمقراطية، الفوضى الخلاقة، العنف الطائفي).

وعلى سبيل التفصيل نسوق مصطلحا واحدا أسهم في تحقيق السياسة أعلاه أغراضَها، وهو مصطلح (سقوط النظام) فهو المصطلح الذي أخذ يمثل نقطة مفصلية في تاريخ العراق الحديث كما يقول الدكتور محمد عياش، وروجت الماكنة الإعلامية للعدوان لهذا المصطلح، حتى شاع في الأوساط المناهضة للاحتلال من دون تروٍ وتفكير، وتم التركيز على هذا المصطلح لتحقق الإدارة الأمريكية لها ولحلفائها بعض المكاسب الإعلامية والسياسية منها:

- اختزال الحرب بإسقاط نظام حاكم مثل مرحلة تاريخية عصيبة في العراق والمنطقة والعالم، وسعت الإدارة الأمريكية بذلك إلى صرف الأنظار عن جريمة الاحتلال المتمثلة بإسقاط دولة ذات سيادة وتدمير كل مؤسساتها وتعريض شعبها للضياع والمجهول، وما رافقه من مذابح جماعية وانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان ونهب التراث والثروات وقتل العلماء والمفكرين وتهديم البنى التحتية.

- أن استخدام هذا المصطلح يعني التستر على الأهداف الحقيقية للاحتلال، وكسب التأييد الشعبي في الشارعين الأمريكي والعالمي لدعم الحرب.

- أعطى الإدارة فرصة في ادعائها بتحقيق النصر أو النجاح إذ تمكنت من إزالة النظام وساهمت في اقتصاص الشعب منه. ولا يزال هذا الإنجاز هو أكثر ما يردده قادة الاحتلال إلى يومنا هذا، لاسيما مع تواصل الفشل في العراق حتى اضطرت الإدارة الجديدة إلى القيام بخطوات إجرائية للخروج من العراق.

- إحراج القوى المقاومة بأنها لا تدافع عن بلد اسمه "العراق" وإنما تقاتل من أجل "النظام" لإضعاف شرعيتها وحرمانها من بعض التأييد، واتهام كل من يرفض الاحتلال بأنه من أزلام النظام وأيتامه أو من الصداميين أو البعثيين. وقد أسهم هذا في تعميق الفصل الطائفي، وتغذية الحرب الطائفية وقتل وإقصاء شريحة واسعة تحت هذا المصطلح وما تولد عنه.

وأما الأمثلة على توظيف المصطلحات المزدوجة للتضليل والتشويه بشكل لا يثير الانتباه: (التحرير بديلا عن الاحتلال، والإرهاب بديلا عن المقاومة، والتطهير العرقي بديلا عن عمليات الإبادة البشرية، ومصطلح الإسناد الجوي بديلا عن القصف، والضرر غير المباشر بديلا عن قتل الابرياء وهكذا) وقد أسفرت هذه المصطلحات عن خداع مزدوج سواء للمؤيدين للحرب أو المعارضين لها، وحتى بعد تكشف حقيقة هذه المصطلحات فإنها تكون قد قطعت شوطا في تحقيق أغراضها من الحرب.

رابعا: حرب المصطلحات تعزز حرب المعنويات، لاسيما أن الحرب في العراق انتقلت إلى حرب أفكار وعقيدة.

كل وحدة عسكرية لها مصدران للقوة: مصدر معنوي ومصدر مادي، والمصدر المعنوي للقوة أهم بكثير من المصدر المادي، ولإحراز النصر يجب توجيه ضربات نفسية قوية إلى معنويات العدو كونها مصدر القوة لديه، والحرب النفسية ومنها حرب المصطلحات أفضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للعدو ولتحطيم المقاومة دون قتال، إذ تستهدف عقل وتفكير وقلب المقاتل بغرض تحطيم معنوياته والقضاء على رغبته في المقاومة وقدرته على القتال أو مواصلته. يقول مونتجمري: أن أعظم عامل من العوامل المؤدية إلى تحقيق النجاح هو روح المقاتل، لأنه أمر هام وجوهري أن يفهم المرء أن المعارك إنما تكتسب أولا وقبل كل شيء في قلوب الرجال. ويقول نابليون: يتوقف مصير الحرب على مقدار قوة الجيش المعنوية وأن قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوي ثلاثة على واحد أي إن الجيش تكون قيمته 75% من الناحية المعنوية و25% من الناحية المادية، وقد أيد نابليون كثير من العسكريين، وإذا كان اللواء فولر في كتابه (الأسلحة والتاريخ) قد خالفه في ذلك، بسبب اختراع الأسلحة الحديثة وتأثيرها في الناحية المادية للجيوش، فإنه يقر بأن نسبة الناحية المعنوية إلى المادية هي 50% أي أن الناحية المعنوية لا تزال ذات قيمة عظيمة حتى بعد ظهور الأسلحة الحديثة، وأن المعنويات كانت ولا تزال وستبقى عاملا حاسما في إحراز النصر.

وإسلاميا يؤكد اللواء محمود شيت خطاب: أن المعنويات هي العقيدة، وقد أثبت تاريخ الأمم أن الجيوش لا تهزم لقلة مواردها بل لضعف عقيدتها.

ومن المصطلحات التي حرصت على ترويجها الإدارة الأمريكية ونالت حضورا في وسائل الإعلام، أسماء المعارك والهجمات التي تشنها قوات الاحتلال والقوات العراقية الموالية لها، فالحرب الأولى عاصفة الصحراء والثانية الجد للعذراء، ومعركة الحرية ثم توالت الأسماء المثيرة للعمليات العسكرية، كالخنجر والسيف والوادي المتصدع والستار الفولاذي والثور والقبضة الحديدية، وغيرها من الأسماء، التي لها أثر إيجابي في معنويات أفراد القوات الأمريكية، وترمي من خلالها إلى زعزعة معنويات المجاهدين وحواضنهم، في المقابل فرضت تعتيما إعلاميا على ترويج أسماء الفصائل المسلحة في العراق، وكذا أسماء حملاتها القتالية وأسماء رموزها.

خامسا: العمل على حسر المفاهيم الإسلامية الأصولية، والترويج لمفاهيم تقترب من المنظومة الغربية.

ولعل هذه السياسة من أبرز تداعيات حرب المصطلحات على وسائل إعلامنا فعلى سبيل المثال مفهوم الجهاد، فإننا نجد أغلب وسائلنا الإعلامية بل رسائل الفصائل الجهادية لا تتداول هذه اللفظة مجردة أو مضافة مثل لفظة مجاميع جهادية أو الجهاد في العراق، هذا في وسائلنا فكيف الحال في وسائل الإعلام الأخرى.

المقاومة وصناعة المصطلحات

المقاومة الإسلامية في مواجهتها لحرب المصطلحات، هي امتداد لأساليب الإعلام الإسلامي في ذلك، مع مراعاة خصوصية ظروف الحرب وتداعياتها على المجتمع، وسنحاول أن نبين سبل مواجهة المقاومة لهذه الحرب وإيراد شواهد وشهادات على إنجازات المقاومة في هذا الميدان.

أولا: على المقاومة الإسلامية أن لا تهتز أمام حرب المصطلحات

فقد واجه الأنبياء عليهم السلام جميعا مثل هذه الحرب من قبل أعدائهم، وقد خلد لنا القرآن كثيرا منها ولاسيما مواقف رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد روجوا مصطلحات ومفاهيم أرادوا من خلالها النيل من الرموز الإسلامية (الله والإسلام والرسول والقرآن)، وقد تبنى هذه الحرب خصوم النبي عليه الصلاة والسلام جميعا، يقول الله تعالى على لسان المشركين: (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ). (وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ). (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ). (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

وعلى لسان أهل الكتاب ولاسيما اليهود: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ).

وعلى لسان المنافقين: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ). وقوله: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)

ثانيا: اتخاذ جميع السبل المشروعة والمتاحة لمواجهتها، وعدم التقليل من شأنها أو تأثيرها.

إن على المقاومة الإسلامية إعداد خطط مدروسة ومنضبطة في مواجهة حرب المصطلحات، فعليها أن تنتبه إلى المصطلحات المتداولة في وسائل الإعلام الأخرى، ولتكن القاعدة التي يعمل بها الإعلاميون هي (لا تنشر مصطلحا قبل معرفته) فلا بد من تمحيص المصطلحات قبل استعمالها.

فإذا كان المصطلح فيه ارتياب أو فضفاضا يتسع لأكثر من احتمال فاتركه إلى غيره امتثالا لقول النبي عليه الصلاة والسلام (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ) رواه الترمذي (صحيح الجامع 3378).

وهذا هو المنهج القرآني في التعامل مع المصطلحات، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

يقول السعدي في تفسيره ص61: كان المسلمون يقولون في خطابهم للرسول صلى الله عليه وسلم عند تعلمهم أمر الدين(راعِنا) أي راعِ أحوالنا فيقصدون بها معنى صحيحا وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً، فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول بذلك ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب واستعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحسن وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع من التشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن. اهـ

ثالثا: اعتماد المصطلحات الشرعية لاسيما في التأصيل وعدم التفريط بها

لقد نبه فقهاء الإسلام إلى ضرورة مراعاة المصطلحات الشرعية وحذروا من غيرها، فعلى سبيل المثال أنهم أطلقوا على الذي يقاتل في سبيل الله أربعة أسماء وحذروا من الخامس، فأما الأربعة فهي:

المجاهد: من الجهد وهو استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل في دفع العدو، يقول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ). وفي الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم:

لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا.

الغازي: غزا العدو غزوا وغزوانا: سار إلى قتالهم وانتهابهم في ديارهم فهو غاز، قال تعالى: (أَوْ كَانُوا غُزًّى) قال القرطبي في تفسيره:(يعني غزاة وواحدهم غاز). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا). وقد يقيده البعض في من يذهب لقتال العدو في داره.

الجندي: جمعه الجند وهم الأعوان والأنصار، والجند العسكر ويجمع على أجناد. قال تعالى: (إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا).
المقاتل: من قتله يقتله قتلا، إذا أماته، والمقاتِلة الذين يلون القتال. قال تعالى: (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ).
ويلاحظ على المصطلحات السابقة أنها جاءت مقترنة بلفظ (في سبيل الله) أي من أجل إعلاء دين الله فتدخل النية.
الخامس:المحارب. وهذا لا ينبغي أن يطلق على المجاهد، ولا ينبغي أن يوصف به، لأن المجاهد لا يجاهد من أجل مآرب شخصية، أو مصالح مادية، أو عداوات قبلية أو طبقية، وإنما يجاهد من أجل إعلاء كلمة الله، وأن يمكن في الأرض لشرع الله. يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله، بعد أن بين أن الإسلام تجنب لفظة الحرب وغيره: (والذي أراه وأجزم به أنه ليس لذلك إلا سبب واحد وهو أن لفظة الحرب كانت ولا تزال تطلق على القتال الذي تشب لهيبه وتستعر ناره بين الرجال والأحزاب والشعوب لمآرب شخصية وأغراض ذاتية..).

إذن فالمصطلح الشرعي لقتال العدو واستهداف مصالحه، هو الغزو والقتال والجهاد أي بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله تعالى ضد الكفار، وهو من الإرهاب المشروع. وينبغي لوسائل الإعلام أن تروج لهذه المصطلحات مقرونة بـ {في سبيل الله} وعند الإطلاق يعتمد مصطلح الجهاد والمجاهدين والمجاميع الجهادية، ولا تقتصر على لفظة المقاومة ومتعلقاتها، وذلك لأن للجهاد مقاصد عدة ودوافع متعددة منها مقاومة الإحتلال ورد المحتل عن بلاد المسلمين، وهذا يسمى جهاد الدفع وهو فرض عين على جميع المسلمين في البلد المحتل. فالاقتصار على لفظ المقاومة هو حصر للجهاد بهذه الجزئية فقط، دون إدراك المقاصد والدوافع الأخرى لتشريع الجهاد.
وأيضا حينما نطلق لفظة الجهاد فلا يتبادر لنا إلا القتال الشرعي، وأما لفظة المقاومة فهي ذات محامل ولذا كثيرا ما تقيد بالوطنية أو العراقية أو الشعبية أو الإسلامية وهكذا، ثم أن هذه اللفظة لها مرادفات بحسب الإيديولوجيات أو الشعوب التي تقوم بها، فالبعض يسميها نضالا والآخر كفاحا، وفي تداول لفظة المقاومة تكريس لبعض المفاهيم المخالفة للشرع كالقومية والوطنية الضيقة، كما أن لها تداعيات خطيرة فقد أصبح جهاد غير العراقي في العراق تهمة وجريمة، وكذلك غير الفلسطيني في فلسطين وهكذا يتم تضييق الفروض الشرعية.
وقد تلجأ بعض المجاميع إلى تداول مصطلح المقاومة وإدراجه في اسمها من باب لا مشاحة في الاصطلاح، ولدفع ما يمكن دفعه في المعركة، وإن تعدد الواجهات يربك العدو ويعطي المجاهدين مساحة أوسع للعمل، ومع مقبولية ذلك فإنه لا بد لوسائل الإعلام أن تروج للمصطلحات الشرعية وتتجنب تبعية ذلك بنسبتها إلى مصدر هذه المجاميع، وسيكون من الأوفق للإعلاميين الإسلاميين الجمع بينهما فتسميها المقاومة الجهادية أو المقاومة الإسلامية.
رابعا: مراعاة المصطلحات الشرعية المألوفة ولا بأس بإضافة ما يحبب الناس ويتألفهم.
لقد مر بنا سابقا أن العدو روج لمصطلح سقوط النظام، ليحقق أهدافا تخدم سياسته. يقول الدكتور محمد عياش: إن المصطلح المتعارف عليه في مثل هذا الحال أن نقول "سقوط بغداد"، لكن هذا المصطلح مؤلم وجارح للقلب وربما هذا ما دفع بعض المخلصين أن يتحاشاه ويستخدم مكانه " سقوط النظام " فهذا أهون على النفس، لكن الحقيقة أن بغداد قد سقطت بيد الغزاة، بغداد عاصمة الأمة الإسلامية لقرون طويلة، بغداد عاصمة الفقه واللغة والتاريخ والحضارة، وبقدر حجم هذه الحقيقة المرة يظهر الحجم الحقيقي للجريمة التاريخية التي ارتكبها هؤلاء الغزاة، وبنفس القدر أيضا ينبغي أن تتحرك طاقات الأمة من المحيط إلى المحيط لاسترداد الهيبة والكرامة أو الموت على ترابها الطاهر. ويستغرب الدكتور عبد الرحمن الرواشدي من التأكيد على لفظة السقوط، مع أن تأريخنا حفظ لنا مصطلحا أطلقه المؤرخون على استيلاء الاعداء على الدول العربية والإسلامية في التأريخ المعاصر وله دلالته القانونية وهو مصطلح الاحتلال لذا من الأسلم أن نطلق على هذا الحدث الجلل (احتلال العراق أو احتلال بغداد)، ليتم تجاوز المخاطر التي تصاحب مصطلح سقوط النظام، وكذلك يتم تفنيد المصطلح الذي روجه أعوان المحتل وهو تسمية الحدث (تحرير العراق).

وفيما يتعلق بأسماء المجاميع الجهادية في العراق فقد تحرجت الوسائل الإعلامية حتى المناهضة للاحتلال من ذكرها باستثناء تنظيم القاعدة في العراق، ومن المفارقة أن هذه الوسائل إن كانت تخشى من ذكر أسماء هذه المجاميع أن تتهم بدعم الإرهاب، وهي لا تذكر سوى المجموعة التي تلاحقها تهمة (الإرهاب) أينما حلت، ولكن إصرار فصائل المقاومة على إثبات وجودها وتأثيرها على قوات الاحتلال، ومع النضج الإعلامي والسياسي لها استطاعت هذه الجماعات في السنوات الأخيرة فرض وجودها وكونها حقيقة لها حضورها في الساحة العراقية، وأصبحت أسماؤها متداولة في وسائل الإعلام جميعا، وقد أحسنت الفصائل باختيار أسمائها وأسماء إصداراتها، إذ جمعت بين مفردات القوة والمصطلحات الإسلامية واسم العراق الذي انطلقوا لتحريره مما جعلها مألوفة لدى الناس مهابة عندهم، فالجيش الإسلامي في العراق وجيش أنصار الإسلام أو السنة إشارة إلى هذا المكون الأصيل من أهل العراق، وحركة المقاومة الإسلامية –حماس العراق-، والجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية-جامع، وكذا كتائب ثورة العشرين، والتي تشير إلى الارتباط بمرحلة تأريخية جهادية مهمة من تأريخ العراق .

خامسا: الأصل أن قوات الاحتلال لا تشيع مصطلحا بريئا، وهكذا ينبغي أن نتعامل معهم.
من خلال الدراسات القانونية والسياسية توصلت إلى أن الغرب لم يطلق اصطلاحا ما اعتباطا، وإنما بعد دراسات مستفيضة ودقيقة وملمة بجوانبه كافة وتأثيراته وأبعاده المستقبلية، وسواء أكان محددا أو واسعا فضفاضا، كما مر بنا في مصطلح الإرهاب، فهو كلمة غير قانونية ولم يحدد معناها بدقة قابلة للقياس والتطبيق، لا سيما أنها من حيث اللغة تحتمل الحق والباطل إذ معناها لغة: التخويف، والتخويف قد يكون مشروعا كما في قوله تعالى: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)، وقد يكون محرما كما في تخويف الأبرياء الآمنين، وقد رتب الإسلام عقوبة شديدة على من يشيع الخوف والرعب بين الناس حتى لو لم يقتل ولم يسرق، ويسمى في الشريعة حد الحرابة.

سادسا: توظيف المشاكلة باعتماد مصطلحات العدو في الرد عليه والتشويش على الوسائل التي تتداولها.

يقول الله تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ). ويقول: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ). ويقول: (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ). ويقول: (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ).
من هذه النصوص نستنبط مشروعية استخدام مصطلحات العدو في الرد عليه، وأن نصفه بما ينعتنا به، ونقابله بالمفاهيم التي يحاربنا بها، ولو استخدم العدو مصطلحاتنا فليس هذا مدعاة إلى ترك استعمالها مرة أخرى، إلا أن تكون مصطلحات منهيا عنها شرعا أو يؤدي استخدامها إلى مفسدة أعظم: (لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ).

سابعا: الحرص على توحيد المصطلحات من قبل المجاهدين جميعا
ففي القرآن الكريم نجد أن عبارة (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)، تكررت بهذه اللفظة الموحدة على ألسنة أنبياء الله جميعا، مما يؤكد أن وحدة الرسالة تستلزم وحدة مصطلحاتها الخاصة بذلك، وهذا يعطي قوة لهذه الرسالة على مدار الحياة الدنيا، ويكسبها تأثيرا من قبل المتلقين جميعا وشدة تمسك من قبل من يؤمن بها، وحرجا كبيرا لمن يخالفها ويعاديها.
ومن عادة وسائل الإعلام ومنها العربية أن تتميز بمصطلحات خاصة بها، بل نجد لكل وسيلة دستورها الإعلامي، وما يعين على الانتقائية والضياع تشتت المفهوم الواحد إلى مصطلحات عدة، وعلى سبيل المثال، إن القنوات الفضائية العربية وفي تغطيها المباشرة لأول حرب عربية تعاصرها-حرب 2003- لم توفق إلى اختيار مصطلح واحد لهذه الحرب وتأثرت كل قناة بسياساتها الاعلامية، فقد اطلقت عليها قناة الجزيرة (الحرب على العراق)، وفي قناة أبو ظبي (الحرب)، وفي العربية(حرب الخليج الثالثة)، وفي المستقبل (العراق في مهب الحرب)، وفي الحياة(حرب على العراق).



لذا ينبغي على الفصائل العراقية الاتفاق على مصطلحات معينة في رسائلها الإعلامية، مما يلزم الوسائل الإعلامية باعتمادها، وإذا كانت هذه الفصائل وفقت في توحيد خطابها تجاه بعض المصطلحات والمفاهيم لاسيما الأساسية، فإنها بحاجة إلى مزيد من الاتفاق والتوحد.

شهادات إعلامية

يعتقد مصطفى الصواف، رئيس تحرير صحيفة فلسطين: أن الإعلام المقاوم قد نجح في إعادة صياغة المصطلحات بما يتوافق والرسالة الجهادية المقاومة للعدوان، ويتضح ذلك - كما يقول - من خلال تفاعل الرأي العام في الدول الإسلامية وتبنّيه مواقف الإعلام المقاوم، الذي استطاع - رغم كثافة الضباب الإعلامي المضاد - ربط القضية ببُعدها العربي والإسلامي وإعادتها إلى حضنها الحقيقي والطبيعي، بعد كل محاولات اختصارها في قضية صراع فلسطيني - صهيوني.

ويؤكد الدكتور عبد الرحمن الرواشدي المشرف العام على وكالة حق: أن إعلام المقاومة استطاع إلى حدٍّ ما أن يعيد التوازن في حرب المصطلحات، بترسيخ المفاهيم الواقعية لها ولاسيما مفهوميْ الاحتلال والمقاومة المشروعة، سواء كان ذلك على المستوى الجماهيري أو الإعلامي أو الرسمي، فنجد اليوم دولاً كثيرة تسعى إلى اللقاء بفصائل المقاومة وترفض تغييبها عن المشهد العراقي، بل استطاع إعلام المقاومة أن يرسخ أسماء الجماعات الجهادية بعد أن كانت محظورة في وسائل الإعلام.

ويدلل على ذلك الأستاذ فتحي حماد مدير قناة (الأقصى)، بنجاح القناة في المساهمة بقدر كبير في عملية التغيير عن طريق الإعلام، وعن طريق إعادة صياغة العقلية العربية، وأن نتبنى الفكر الإسلامي المتقدم والقوي والذي يحاول أن يتخلص من الهزيمة التي ضربت العرب والمسلمين، وأصبحت المصطلحات الإعلامية الإسلامية التي تبثّها فضائية (الأقصى) مصطلحات عالمية.

وأصدرت مجموعة الأزمات الدولية (ICG) تقريرا لها عن المقاومة في العراق،في عام 2006، جاء فيه: أن التمرد- المقاومة- خاضع لهيمنة وإدارة من قبل بعض المجموعات الكبيرة عبر طرق معقدة، فهو لم يعد بعد الآن ظاهرة فوضوية عصبية، مبعثرة، فالمجموعات منظمة بشكل جيد وهي تصدر منشورات منتظمة، وتتفاعل بشكل سريع مع الأحداث السياسية، ولديها مركزية مدهشة للغاية، وقد حصل منذ مدة تقارب تدريجي ومنسق بين هذه المجموعات وأصبحت تعتمد تكتيكات ووسائل شبه موحدة وتغلب الهوية السنية على هذه المجموعات كلها، بعد أن كانت منقسمة قبل ذلك في عملها وإيديولوجيتها، لكن المناقشات والمناظرات التي جرت بينهم أوصلتهم إلى رؤية مشتركة تقوم على التشريع الإسلامي والاستجابة لمظالم العراقيين وشكاواهم.

إن حرب المصطلحات وديمومتها، حالها حال جهاد الكلمة، ماضية في جميع مراحل الجهاد وصوره، وهذا يعني أن هذه الحرب لا يمكن إلغاؤها أو تأجيلها أو إهمالها مهما كانت الظروف ومهما كان حال الأمة الإسلامية المجاهدة

، وأية جماعة جهادية لن تحقق التمكين إلا إذا استوفت صور الجهاد وما يتبعه من حروب.

دراسات تاريخية

المقاومة الفيتنامية للاحتلال الأمريكي(2/2)



أسباب انتصار المقاومة الفيتنامية

في 27/ 1/ 1973 بدأت القوات الأمريكية بالانسحاب من فيتنام على أثر توقيع اتفاقية السلام في باريس، وقد استغرقت عملية الانسحاب 20 شهرا من تاريخ توقيع الاتفاقية، وفي 30/4/1975، دخلت قوات فيتنام الشمالية وحلفاؤها من الفيت كونج العاصمة الجنوبية سايجون، وانتهى بذلك صراع دام 25 عاما من أجل قيام دولة فيتنامية مستقلة، وفي 7/2/ 1976 أعلن عن قيام جمهورية فيتنام الاشتراكية الموحدة، وأصبحت هانوي عاصمة الدولة الجديدة، وأما سايجون فقد تغير اسمها إلى مدينة (هوشي منه) نسبة إلى الزعيم الفيتنامي الذي قاد النضال من أجل تحرير فيتنام ووحدتها، وتوفي أثناء الحرب في أيلول 1969، وفي عام 1978 انضمت جمهورية فيتنام الاشتراكية إلى الأمم المتحدة.

هذه هي المراحل النهائية لانتصار المقاومة الفيتنامية، وقد توقفنا في الجزء الأول من المقال عند الأسباب المجملة وراء انتصار المقاومة الفيتنامية ، وفي هذه الجزء نخوض في تفاصيلها.

أولا: بطولة الشعب الفيتنامي في التصدي والقتال

فقد صمد الفيتناميون بقوة أمام آلة الحرب الأمريكية ذات التقنية المتقدمة ، فلم تخفهم، بل تصدوا لها بأساليب بدائية مبتكرة من البيئة الفيتنامية، وكلما ازدادت الغارات الأمريكية بنوعيتها المختلفة ازدادوا عزما وتصميما على وحدة أراضيهم وشعبهم ، مهما كلفهم هذا الأمر من ثمن ، وقد نجحت القيادة الفيتنامية في استراتيجيتها المساة (عسكرة المجتمع)، إذ تحول الشعب الفيتنامي كله إلى جنود في حرب التحرير، وتواصل الشعب إلى العمل المدني إيمانا منهم بقدرتهم على تحقيق النصر في النهاية، مهما طال أمد الحرب، وأن عليهم أن يتحملوا هذه المشاق وأن يصبروا لما فيه مصلحة البلاد، والتمهيد للأجيال القادمة من بعدهم، لذلك تكاتف كل أبناء الشعب في القيام بالأعمال العسكرية والمدنية اللازمة لإتمام مهمة الدفاع عن بلادهم بلا كلل أو ملل، حتى الجنود في القوات الجنوبية كانوا يتعاطفون مع إخوانهم في الفيت كونج والقوات الشمالية بدافع الولاء والانتماء إلى الأرض والوطن، ولذا كانوا على الرغم من تنفيذهم لأوامر القادة الأمريكيين بتلغيم الطرق والممرات المائية والغابات، فقد كانوا يرسلون خرائطها سرا إلى إخوانهم الثوار.

ثانيا: وجود قيادة قوية ومقربة من أبناء الشعب

إذ عرفت القيادة الفيتنامية المقاومة للاحتلال ببساطتها وعدم استعلائها على أبناء شعبها، وتمتعها بثقة متبادلة بينها وبين المقاتلين، مما جعلها تنجح في تجميع الشعب حولها وقيادته إلى النصر، ويأتي في مقدمة القيادة الفيتنامية الزعيم (هوشي منه) الذي حظي بقبول شعبي جعله يؤثر في أبناء شعبه ويستقطبهم إليه، ولم يكن هوشي منه يمني الشعب بالنصر القريب والوعود المعسولة وإنما كان صادقا معهم منذ البداية، فقد اخبرهم أن الحرب قد تستغرق سنوات ربما تزيد على العشرين عاما، وأنه قد تدمر قرى ومدن أخرى (ولكن لا شيء يعدل الحرية والاستقلال ، وعندما يحل يوم النصر فإن شعبنا سوف يعيد بناء مدننا ويجعلها أكثر جمالا مما كانت عليه).

وكان لتواضع هذا الزعيم وبساطته تأثير كبير في اتساع شعبيته والاستحواذ على حبهم وثقتهم وتضحيتهم، فلم يحرص أبدا على امتلاك مباهج الزعامة التي يحرص عليها غيره من زعماء وقادة الدول الأخرى، وكان يحرص على التواجد بين أبناء شعبه في ساحة القتال وأما الرجل الثاني الجنرال(جياب) وزير الدفاع، فقد كان مثل زعيمه مثالا للتواضع والبساطة، وعندما سأله الصحفيون عن الأكاديمية العسكرية التي تلقى فيها علومه أجاب في بساطة ضاحكا: إنها كمائن الغابات التي علمتني كل شيء، وقد تميز باعتماده اساليب المفاجأة والخداع، وبالاعتماد على ما تتميز به

قواته من روح معنوية عالية ومعرفة جيدة بطبيعة الأرض، كما كان التخطيط المركزي والتنفيذ اللامركزي من سمات أسلوب الجنرال جياب في قيادته للقوات الفيتنامية.

ومن وراء هذين الرجلين كانت القيادات الفيتنامية كلها في الشمال والجنوب متكاتفة تتحمل مسؤوليتها في قيادة أبناء الجيش والشعب، والجميع يتأسون بقادتهم الكبار، ويحرصون على تلقين توجيهاتهم وتوصياتهم إلى القيادات والوحدات الأدنى، حريصين على تنفيذها بالدقة وبالروح التي صدرت بها من القيادة العليا.

ثالثا: تكاملية العمل المسلح مع العمل السياسي المقاوم، ومراعاة الجوانب القانونية.

لقد وضحنا سابقا أن المقاومة الفيتنامية جمعت بين العمل المسلح والعمل السياسي بشكل تكاملي، بما يؤدي إلى تحقيق النصر والأهداف المرسومة بأقصر الطرق وأقلها تكلفة وخسارة.

كما حرصت المقاومة على تكريس الشرعية، إذ سعت في كل الأوقات أن تحتفظ بواجهة قانونية لأعمالها، وذلك لتجنب إلصاق صفة العصابة المخربة بها، واستخدمت لذلك اللغة القانونية بكثرة في مطبوعاتها وخطاباتها، ومما عزز الأثر السياسي الدولي الإيجابي للمقاومة الفيتنامية مراعاتها للاتفاقيات الدولية وعدم إسقاطها من حساباتها في أحلك الظروف بل إنها احترمتها في التعامل مع التعامل مع الأسرى الأمريكيين، فعندما كان يقبض على العسكريين الأمريكيين ثم يطلق سراحهم، كان إعلان جبهة التحرير عن ذلك في إذاعتها يتحدث عن إلقاء القبض عليهم، ثم محاكمتهم وإدانتهم بتهمة اقتراف جرائم ضد الشعب، أو إطلاق سراحهم بعد أن يقبل استرحامهم، وعندما كانت الاغتيالات تنفذ فإنها كانت تنفذ بعد محاكمات . غيابية وتعليق حكم الموت على جثة القتيل بعد اغتياله.

رابعا: صلابة في المفاوضات ودحر دبلوماسية القوة

كانت جبهة التحرير ترى في المفاوضات ميدانا آخر من ميادين القتال، في حين كانت الإدارة الأمريكية تتبع سياسة دبلوماسية القوة، ومعناها استعمال القوة العسكرية بعنف لإجبار القيادة الفيتنامية على اللجوء إلى التفاوض كحل أفضل، بحيث تبدأ الولايات المتحدة التفاوض وهي في الموقف الأقوى الذي يمكنها من إملاء شروطها على الطرف الآخر

وفي ذلك يقول كيسنجر (رئيس المفاوضين الأمريكيين آنذاك) : إن الرئيس نيكسون لم يكن يثق أبدا بمثل هذه المفاوضات ولم يكن بباله أن هانوي يمكن أن تقدم على إجراء اتفاق يرضينا ما لم نكبدها سلفا هزائم عسكرية حقيقية، "واتضح بعد ذلك أن وجهة نظره صحيحة" ، ويبدو أن الفيتناميين فهموا هذه الغطرسة الأمريكية فلم يتهالكوا على المفاوضات، ولذا رفضوا تحديد موعد لاستئناف المفاوضات في تشرين الثاني 1969 ، رغم الحاح كيسنجر في ذلك، وكان الرد الفيتنامي أنه لا يوجد ما يستدعي اللقاء، وكان ذلك مما يسبب غيظا وسخطا شديدين لدى الأمريكيين، كما عمد الفيتناميون إلى اتخاذ الصلابة والندية والتعالي طيلة المفاوضات، حتى أنهم رفضوا مصافحتهم طول المفاوضات باستثناء الجلسة الأخيرة التي تم فيها توقيع اتفاق السلام.

وفي ذلك يقول كيسنجر: بالإضافة لتعلقهم الشديد ببلادهم كان لدى الفيتناميين ثقة لا تضاهى بأنفسهم، واحتقار لكل ما هو غريب عن بيئتهم، ولقد أظهر زعماؤهم أنهم لم يتخلوا أبدا عن عناد قاسينا مرارته منذ سنوات، ويضيف قائلا: لم ينقصوا من طلباتهم حرفا واحدا طوال سنوات التفاوض رغم تغير الأشخاص، وكانت شروطهم : يجب على أمريكا أن تنسحب دون قيد أو شرط من الهند الصينية، كما يجب عليها إسقاط الحكومات المتحالفة معها في هذا البلد، ولم تفلح جميع الجهود التي بذلت للوصول إلى حلول وسط، وأدرك كيسنجر أن الفيتناميين مستعدون للقتال طوال أجيال قادمة، وأنهم قادرون على الصمود أكثر من الأمريكيين، وأنهم لن يتفاوضوا معهم على الانسحاب وإنما على ما بعد الانسحاب، على أن يأتي الانسحاب أولا، وأن التنازل الوحيد الذي يمكن أن يقدمونه هو أن لا يستهدفوا الامريكيين عند انسحابهم.

ومن مظاهر الاستعلاء كما يقول كيسنجر: أنهم لم يبدوا تحمسا كبيرا عندما عرض عليهم تقديم مساعدات اقتصادية لبلادهم عقب توقيع اتفاق السلام، وفي ذلك يقول: أظهر المفاوض الفيتنامي وكأن هانوي تنوي أن تجود علينا بمعروف عند قبولها مساعداتنا على اعتقاد منها أنها تستحق هذه المعونة.

وكان الجميع يعلم أن الفيتناميين كانوا هم الطرف الأقوى في المفاوضات، استنادا إلى ما حققوه من نصر في أرض المعارك، وأن الولايات المتحدة لجأت إلى التفاوض وهي مضطرة لإنهاء الازمة.

خامسا: الدعم الخارجي في جانبيه السياسي والعسكري

تلقى الشعب الفيتنامي دعما عسكريا ضخما من الاتحاد السوفيتي والصين، شمل أحدث الأسلحة لا سيما المضادة للطائرات والمدرعات والأسلحة الخفيفة، والمدافع بعيدة المدى التي مكنتهم من قصف العاصمة الجنوبية من مسافات بعيدة، وكذلك الصواريخ الموجهة أرض/جو قصيرة المدى والتي تحمل على الكتف، وبسبب الحدود المشتركة بين الصين وفيتنام التي تبلغ نحو 1150كم، كانت الصين تزج بجنودها عبر الحدود للقتال مع المقاتلين الفيتناميين، وتنافس كل من الاتحاد السوفيتي والصين على تقديم الدعم إلى فيتنام والحصول على ولائها، فإذا قام مسؤول سوفيتي بزيارة هانوي أعقبته مباشرة زيارة من مسؤول صيني، وإذا أدلى الاتحاد السوفيتي بتصريح يخص فيتنام، بادرت الصين بتصريح مباشر .

كما أن أمريكا لم تستطع أن تهدد باستخدام السلاح النووي حذرا من ردة الفعل السوفيتية والصينية، والذي قد يؤدي إلى استخدام السلاح النووي ضد الولايات المتحدة نفسها.

وسياسيا فقد ضمنت فيتنام الفيتو ضد أي قرار تحاول أمريكا تمريره في مجلس الأمن ضدها، كما فتح الاتحاد السوفيتي والصين الباب أمام النشاط السياسي للفيتناميين، أمام دول العالم جميعا، وكانت لهم مساهمات فاعلة في أثناء عقد مفاوضات السلام بما يعزز الموقف الفيتنامي.

نحن إذ نستعرض هذه التجربة العالمية من المقاومة فذلك لنستلهم الدروس والعبر منها، سواء من قبل قادة المقاومة العراقية، أو من قبل المحللين العسكريين والخبراء الإستراتيجيين أثناء مقارنتهم بين المقاومتين العراقية والفيتنامية، وإلى تجربة أخرى بإذن الله تعالى.

ملاحظة: تم الاعتماد في إعداد هذه المقالة على دراسة للخبير الإستراتيجي حسام سويلم بعنوان(التجربة الفيتنامية)





تشويه صورة المقاومة ... حرب أخرى

بقلم : محمد يوسف العمر

لم تتعرض مقاومة – فيما نعلم – لمثل ما تعرضت له المقاومة العراقية من مؤامرات واستهداف وتشويه فاجر، فيما تتحرك وسط أجواء بالغة الصعوبة مع انعدام وجود الدعم العلني من قوى دولية تسهل الحركة والتفاوض وتنقل المطالب والشروط، وإذا كانت الدوائر الإستخبارية الأمريكية قد أعدت منذ وقت مبكر جيوشها في فيلق الإعلام المبشر بالحرية والديمقراطية التي يحملها المارينز خلف فوهات بنادقهم، فإن التعامل مع المقاومة العراقية لم يسِر بموازاة مشروع الترويج للاحتلال بوصفه تحريرا وإنقاذا ذلك أن المقاومة العراقية ولدت أصلا وهي مقاومة مسلحة، لم يسبقها جهد وإعداد سياسيان، مثلما حصل مع غالبية التجارب الجهادية والمقاومة التي خاضتها شعوب العالم، وكانت الولادة السريعة بمثابة الصدمة للمحتلين وأذنابهم في الداخل، الذين أسرعوا إلى مباشرة عملية تسقيطية قائمة على الشائعات والتشويه والأكاذيب، وبامتلاك وسائل الإعلام من فضائيات وصحف ومواقع على شبكة الإنترنت، ومحيط تنقاد منه فئات واسعة، إلى أوامر وتوجيهات وفتاوى حصيلتها القبول بواقع الاحتلال، بل والترحيب به باعتباره المنقذ من مظلومية القرون المتطاولة!

وإن كان لابد للبندقية من صوت ينقل أخبارها ويقدم مشروعها ويروج لتقويماتها لما يطرأ على الواقع من متغيرات متسارعة، فإن هذا الأمر لم يكن متاحا للمقاومة العراقية، بسبب ظروف موضوعية قاهرة فرضتها طبيعة المنازلة، وصعوبات حكمت مسار العملية الجهادية، وتحديات غير مسبوقة، أدت في النهاية إلى تأخر الفعل الإعلامي عن الفعل الجهادي، وزاد في ذلك التعتيم الذي واجه العمليات الجهادية من قبل وسائل إعلام عربية وأجنبية، حكمتها نوازع الخوف من التورط بتهمة مساندة (الإرهاب)، أو تأييدا للاحتلال نفسه.

الحملة النفسية التي أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية فيها ملايين أكثر من تلك التي أنفقتها على احتلال العراق (انظر مثلا سلسلة مقالات الكاتب سرمد الحسين: اعترافات عميل) إذ أن الأمر لم يقتصر على مداخلات في غرف الباتلوك والبرامج الحوارية، وإقامة المحطات الموجهة، بل نزل إلى الشارع وساهمت فيه قوى مؤثرة بحكم منصبها الطائفي، وقوى من المهاجرين العراقيين، أقيمت لهم مواقع على الإنترنت اختصت بتشويه صورة المقاومة، والحث على السجالات الطائفية لوضع المقاومة في صورة فئوية، وكأنها تريد إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، أو إعادة العراق إلى المربع الأول، وأن المجاهدين هم مجاميع من التكفيريين الذين يتلذذون بسفك دماء المخالفين في العقيدة، ومن البعثيين الذين يريدون إعادة نفوذ موهوم سلبه الأمريكان منهم وأعطوه لمستحقيه (المظلومين).

ومع الإقرار أن الذين يتعاطفون مع أمثال هذه الطروحات هم من المهيئين نفسياً لتقبل هذا الخطاب وتداوله، وأن محاولة تبديل قناعات



القوى الوطنية وفئات الشعب العراقي الواسعة المتعاطفة مع المشروع الجهادي والمقاوم ، هي محاولة ليست سهلة ولو أنفقت في ذلك المليارات لا الملايين، إلا أن الصورة الشوهاء التي زادها التكرار قبحا، جعلت من مؤيدي الجهاد أحيانا في موقع الدفاع، فيما هم في المثابة العليا.

أما سبب ذلك فهو الانجراف إلى السجالات الطائفية، لتغييب الصورة الحقيقية للصراع في العراق، وجعل المتابعين في حالة خوف دائمة على المصير والمستقبل، والقبول لذلك بالخضوع لسيطرة وقيادة قوى فاسدة ملوثة وفاشلة.

لم يكن الجهد الذي يقابل تلك الجهود الجبارة يتناسب مع حجم المؤامرة الكبرى، لأسباب تتعلق بضعف في الإعلام الجهادي كانت وراءه فضلا عن مشكلة النفقات الباهضة والتعويل على خطاب لا يتناسب مع حجم التحدي ولا نوعه. مع ضرورة اللجوء إلى اللغة السائدة البسيطة المفهومة التي لا تقبل الالتباس والتأويل، ويمكن أن نلاحظ أن بعض المواقع الجهادية مازالت تصر على استخدام المصطلحات الشرعية، التي يراها البعض من مؤيدي المقاومة، ليست موجهة له، فضلا عن أن الاقتصاد في ذكر تفاصيل العمليات الجهادية لا يعطي صورة واضحة عن حجم الفعل وتأثيره، بل ومصداقيته أحيانا، مع أن الثابت المعروف أن خسائر قوى الاحتلال والقوى التي تحمل السلاح معهم او تتجسس لصالحهم، هي أكثر بكثير مما يعلن عنه ويشاع، وعندما نتابع المواقع الإلكترونية على وجه الخصوص، ونقرأ انشغالات الكتاب والمعلقين نرى أنه في أحوال كثيرة فإن الفروع والتفاصيل الجانبية هي الطاغية، وهذه ليست مسألة ناتجة عن فراغ أو بطر، بل هي نتيجة للتركيز الذي عمل عليه الاحتلال وأذنابه من المليشيات والمرتزقة والقوات الحكومية التي هي في الحقيقة فرق موت بثياب رسمية، التركيز المقصود به هنا تصوير الصراع على أنه صراع طائفي، وهذه الحملة بدأت في الحقيقة مبكرا لكنها تطورت وازدادت شراسة بين عامي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ ومازالت مستمرة، ولعل من بين أهدافها الجانبية التغطية على جرائم الاحتلال وأعوانه، وتصوير المجاهدين على أنهم المتسببون بسقوط المدنيين الأبرياء عمدا أو عرضا، مع أن اللغة الملتوية التي يستخدمها الاحتلال وأعوانه في وسائل الإعلام يمكن كشف زيفها بسهولة، فضلا عن أن تحديد المسؤولية في غالبية تلك العمليات هي مهمة مستحيلة، والوصول إلى أهداف مدنية محمية من الجسور والساحات المزدحمة هو مما يسهل على قوات الاحتلال، فضلا عن اعتبار كل انفجار ناتجا عن تفجير انتحاري، وتدل الوقائع الكثيرة عن أن مقذوفات صاروخية وقنابر هاونات كانت هي سبب الكثير من الانفجارات التي يسقط نتيجتها مدنيون، ومع كل ذلك التنسيق فإن ثَمَّ ظاهرة بات الجميع يشعرون بها لانتشارها، وهي أن الرأي العام تحول إلى اتهام قوات الاحتلال والمرتزقة ومليشيات الأحزاب الشيعية المتقاتلة على السلطة والنفوذ، والساعية إلى تخويف قواعدها بـ(الإرهاب التكفيري) لإعادة جمع تلك القواعد خلف راياتها الطائفية من جديد، بعد أن تسبب الفشل في تقديم الخدمات وإعادة الحقوق، وتوفير الوظائف في تراجع التأييد لتلك الاحزاب.



ويمكن هنا إيراد سبب آخر لشيوع القصص الملفقة عن الجهاد والمجاهدين، وهو الشعور بالنقص والتقصير لدى فئات من السكان بات العالم كله يضعها في خانة النكوص والتراجع وضعف الوطنية – إن لم نقل والخيانة أيضا – بسبب الحقيقة التي لا يمكن المراوغة عنها، في حقيقة هوية المقاومة في العراق، ولتعويض ذلك النقص – بل العار – يلجأ السامع الذي ارتضى لنفسه أن يكون في مقام التابع المنقاد، إلى ترويج القصص الملفقة التي توجه للسخرية من المقاومين ونبزهم بصفات الذم والنقص، لكنه في قرارة نفسه غير مصدق لما يسمعه ويرويه، وهو شكل من أشكال استفحال أزمة أخلاقية وقيمية، وراءها صنف من أصناف العبودية لقوى ومراجع بدؤوا يفقدون احترامهم حتى تحولوا إلى أدوات للسخرية من أنصارهم وتابعيهم .

وعندما ننظر اليوم إلى حجم المؤسسات والمواقع التي جعلت وظيفتها الأولى مهاجمة المقاومة، بعد أن فشل خطاب تأييد الاحتلال، وتأييد الحكومة الطائفية، فإننا ندرك أن هذه المرحلة التي استمرت أكثر من سواها من المرحلتين السابقتين، بات تأثيرها يتراجع، فمن كان ينطلق للتشكيك بالجهاد والمجاهدين بذريعة الجهل بهم لأنهم مقنعون وملثمون، فإن ظهور المجلس السياسي للمقاومة العراقية الذي أعلن مشروعه الوطني، المكمل لما بدأه من خطاب واضح لا يقبل اللبس وتعفف عن سفك دماء الأبرياء وقراءة واقعية دقيقة للقضية العراقية وملابساتها لابد من أن يغير الموازين المختلة، والكم الهائل من الأكاذيب والشائعات، التي لا يستحقها من تقدم أمام الصفوف باذلا دمه لطرد المحتلين وأذنابهم الجواسيس الملوثين اللصوص الفاشلين.

العيوب الإدارية للمديرين



لعل من أسوأ عيوب المديرين، إدارتهم لأعمالهم من مكاتبهم فقط، والاعتماد على التقارير التي ترفع إليهم عن سير العمل بل وإطلاق الثقة في هذه التقارير واعتمادها كمصدر وحيد عند اتخاذ القرارات، فيدير المدير إدارته من برج عاجي، يسمى حجرة مكتب المدير العام، وإذا رفعت إلى شكوى أو ملاحظة بغير ما يعلم عن مؤسسته اتهم قائلها بالبعد عن الحقيقة، بل وأحيانا يتهم القائل بأنه مغرض، وأحيانا يسفه رأيه ويضع على الناصح له دوائر حمراء، ولا يدري أن العيب فيه هو وليس في الناصح له، وهو لا يفكر مطلقًا في النزول إلى مواقع العمل ليرى كل شيء على طبيعته، ويحدث لا محالة انفصال تام بين الإدارة من ناحية وبين العمل والمرؤوسين من ناحية أخرى، ولا يكتشف المدير تلك المشكلة الكبيرة إلا بعد وقوع كارثة يكون - أي المدير - أكبر ضحاياها، ولذا وجب على كل مدير أن ينتبه إلى ذلك الخلل في إدارته قبل وقوع الكارثة.

ولتفادي ذلك الخلل في الإدارة نعرض أسلوب (جمبا كايزن) الياباني في الإدارة، وهما كلمتان يابانيتان، و'جامبا' هي إدارة المكان، وهي تعني أن الإدارة تكون في الموقع الفعلي للأحداث، ولا تنفصل عنه، و'كايزن' هي إدارة الزمان، وهي تعني التطوير المستمر للعمل لتخفيض التكاليف ورفع الإنتاجية. وهذا الأسلوب الياباني يتلخص في عدة نقاط أساسية:

أولاً: إذا حدثت مشكلة انزل فورًا إلى موقع الحدث، فتواجدك السريع في موقع الحدث أو المشكلة يقضي على ٥٠٪ منها؛ لأن المدير الناجح بيده كل مفاتيح الحسم، فينبغي ألا يغيب عن موقع الحدث، وإياك أن تعتمد على التقارير؛ لأنها عادة ما تكون متحيزة إلى إحدى وجهتي النظر، وإذا اعتمدت عليها وحدها فلن تتخذ قرارًا إلا لتأييد وجهة النظر الموجودة في التقارير، أما وجهة النظر الأخرى والتي قد تكون هي الأصوب لن تتفهمها أو تقتنع بها لأنك من الأصل لم تسمعها.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر كيف كان يتعامل مع أصحابه في حل المشاكل: كان دائمًا في موقع كل الأحداث، يعيش مع أصحابه كل مشكلاتهم ويتدخل في حل المشكلة بسرعة. فذات يوم حدث خلاف بين أبي ذر الغفاري - وكان حديث عهد بالإسلام - وبين بلال بن رباح، فقال أبو ذر رضي الله عنه لبلال: يا ابن السوداء. ولك أن تتخيل لو أن هذه المشكلة تركت ليوم واحد فقط في مجتمع عربي يأبى الذل والخنوع، ربما حدثت مشكلة لن يستطيع أحد أن يحلها، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم تدخل سريعًا وقال لأبي ذر: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» وهنا يشعر أبو ذر بالخطأ، ويهدأ بلال لأن القيادة أحيطت علمًا وهو واثق أن قيادته تستطيع أن ترد له حقه، وبالفعل يشعر أبو ذر بالندم ويضع خده على الأرض ويطلب من بلال رضي الله عنه أن يطأ بقدمه على خده ويصفح عنه، ولكن بلالاً يرفض ويرفع أخاه ويقبله، إلى آخر القصة. وشاهدنا هنا تواجد القيادة السريع في موقع الحدث.

وحدث آخر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدًا عنه ثم سمع به فانظر ماذا فعل صلى الله عليه وسلم ؟ يذهب رجلان إلى بئر لسقي الماء كعادتهم كل يوم: جهجهاه الغفاري - وهو مولى لعمر بن الخطاب أي هو من المهاجرين - ووبر بن سنان - من الأنصار - ، وأدلى كل منهما دلوه في الماء فاشتبكا كل منهما يريد أن ينزع دلوه أولاً، وكما رأيت إنها مشكلة بسيطة جدًا ولا تحتاج إلى تدخل، ولكن انتظر ولا تتعجل. اشتبك الرجلان - وهذا من نزغ الشيطان - ولطم كل منهما الآخر، فتصايحا فقال المهاجري: ياللمهاجرين. وقال الأنصاري: ياللانصار. فجاء المهاجرون ينتصرون للمهاجري الذي ضرب، وجاء الأنصار لنصرة الأنصاري الذي ضرب، وكل يرى صاحبه هو صاحب الحق، وهنا تضخمت المشكلة، فالمهاجرون والأنصار يرفعون السيوف لا لقتال عدو ولكن لقتال بعضهم بعضًا، ويسمع بالأمر النبي صلى الله عليه وسلم فماذا يفعل؟ يذهب مسرعًا إليهم في مكان اجتماعهم، وهو في الطريق يسمع المنافق عبد الله بن أبي بن سلول يقول: أوَقد فعلوها، لقد نافرونا وكاثرونا، إنما مثلنا ومثلهم ما قال الأول - يعني: على رأي المثل - سمّن كلبك يأكلك. وفهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه وصحابته المهاجرون هم المقصودون بهذا السباب، ولكنه لم يتوقف، ووصل إلى المهاجرين والأنصار في سرعة بالغة قبل أن يحدث شيء بينهم، ووقف بينهم قائلاً: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ . فَقَالَ « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » ، فتنبه الصحابة، وعلموا أن الشيطان ينزغ بينهم.

لم ينتظر رسول الله أن يُرفع إليه تقرير عن المشكلة، ويشكل لجنة تفحص المشكلة، ثم...، ثم...، ثم...، وأيضًا لم يتوقف للسباب الذي سمعه، بل مضى في طريقه لاجتثاث جذور المشكلة قبل نموها واستفحالها.

ثانيًا: قسم عملك إلى أربعة مراحل:

١ـ خطط . ٢ـ طبق. ٣ـ راجع. ٤ـ طور.

★ وهذه هي دورة أي عمل ناجح:

١ـ تخطيط: أي وضع القواعد التي يتعامل بها العاملون مع المشكلات، ووضع حلول لها، ووضع العوامل التي تذلل العقبات من طريق العمل من أجل الوصول إلى الهدف المنشود، مهما قل أو عظم ذلك الهدف لابد من مرحلة التخطيط له.

٢ـ **تطبيق**: وفيه نزل الخطة والأهداف للمرؤوسين لتنفيذها بدقة بالغة حسب المتفق عليه، ولا يسمح بالاجتهاد إلا في الأمور التي يصح فيها الاجتهاد الشخصي كالأمور الطارئة أو التي لم ترد في الخطة.

٣ـ مراجعة ومراقبة التنفيذ، فلا يكتفي المدير بوضع الخطط والأمر بتنفيذها فقط ثم الاعتماد بعد ذلك على التقارير المتدفقة عليه التي تخبره بأن العمل يسير وفق الخطة الموضوعة ـ وأن كله تمام ـ كلا، بل يجب عليه أن يتابع سير العمل هل يسير حسب الخطة الموضوعة أم لا؟ ورحم الله عمر بن الخطاب حينما قال لمن حوله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم في خلافته رضي الله عنه «أرأيتم لو تخيرت أفضلكم ووليته على عمل ثم أمرته ونهيته أكنت أديت ما علي؟ قالوا: نعم. قال: لا، حتى انظر في أمره أأدى ما أمرته به وانتهى عما نهيته عنه أم لا؟» . هذه هي المراجعة والمراقبة، فلا يكفي وضع خطة جيدة ولا الأمر بتنفيذها فقط، بل يجب المراجعة للتأكد من سير العمل وفق ما خطط له، فما أكثر الخطط الجيدة التي وضعت ثم ذهبت أدراج الرياح لأن من وضعوها وأمروا بتنفيذها اكتفوا بإصدار الأوامر وقراءة التقارير، ولم يكلفوا أنفسهم عناء المتابعة الحقيقية، ففشلت الخطط العظيمة، فكان أصحابها الذين أمضوا الليالي الطوال في إعدادها هم أول من دق مسمارًا في نعشها بعدم متابعتهم لها.

٤ـ بعد المراقبة والمراجعة والتقييم للخطة تأتي مرحلة التطوير لكي تستفيد أنت أولاً من أخطاء الخطة السابقة، فتعمل على تجنبها، فلابد من الاستفادة من الأخطاء، ولكي تستفيد من الفرص الطارئة.

٭ ثمان نصائح لتطبيق 'جامبا كايزن':

١ـ إذا عرض عليك اقتراح جديد لا تنظر إلى مَن قدّمه ولكن انظر دائمًا إلى جدوى الاقتراح، وفكر دائما في 'كيف' تنفذ الاقتراح الجديد الجيد، وليس في 'لماذا' لا تنفذه. فربما يصلك اقتراح جيد من عامل صغير بسيط لا وزن له فلا تتكبر.

فقد وقف رسولنا صلى الله عليه وسلم يوم بدر على عين ماء وعسكر بجيشه، فجاءه جندي بسيط اسمه الحباب بن المنذر، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ: (بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ). وتحول إلى الموضع الذي ذكره الحباب رضي الله عنه ذاك الأسد البدري.

٢ـ كن طموحًا دائمًا واطمع في المزيد، فليس بعد التمام إلا النقصان، فإذا رضيت عن مستوى العمل الذي تعمل به أنت وأعوانك هبط المستوى بعد ذلك، وكن تواقًا إلى ما هو أفضل من ذلك، ولذا لا تقبل مبررات انخفاض الإنتاجية من أعوانك. فهي ليست ثابتة ولا يجب أن تكون كذلك.

يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «ما تاقت نفسي إلى شيء ثم نلته إلا وتاقت إلى ما هو أفضل منه، تاقت إلى إمارة المدينة المنورة فلما وليتها تاقت نفسي إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت نفسي إلى الجنة، وأسأل الله أن أنالها».

٣ـ لا تبحث عن الكمال في الاقتراح الجديد ـ فالكمال لله وحده ـ ، فقط نفذه ولو بنسبة نجاح ٥٠٪، فليس هناك اقتراح به نسبة نجاح ١٠٠٪ ، والعبرة كما قلنا بكيفية التخطيط له، ثم التنفيذ الدقيق، ثم المراقبة والمراجعة والتقييم ساعتها ربما تجد أن نسبة النجاح قد ارتفعت كثيرًا.

٤ـ صحح الأخطاء فور وقوعها، ولا تتركها فتستفحل ثم تستعصي على الحل والتصحيح، والإنسان أسير العادات، فربما نشأ جيل كامل من العمال والمعاونين



على خطأ ولا يستطيعون تغييره الآن قد تركه مدير سابق كان يقدر على تغييره بكلمة أو بإشارة.

٥ـ لا تجعل من تطبيقك لنظام 'كايزن' سببًا في زيادة التكاليف وزيادة الإداريات والروتينيات، إذ تكمن كفاءة 'كايزن' في تقليل الروتينيات، فلا تجعلها تنقلب إلى نقيضها كما يحدث لأغلب الممارسات الإدارية.

٦ ـ تخلص من الجمود الفكري بشأن: 'أننا يجب أن نفعل ذلك، بهذه الطريقة فقط'، بل يجب عليك أن توجد قدرًا من الحرية في ممارسة أسلوب العمل، ولكن بما لا يخرج عن الخطة الموضوعة.

٧ ـ كن يقظًا، فليست كل شكوى كيدية، وليس كل اعتراض على أمر نوعًا من التمرد يجب عليك قمعه، كلا، ولكن حاول التحقيق في أمر الشكاوى وخاصة عند تكرارها من عمل معين أو مكان معين أو شخص معين، حتى يمكنك تطوير عملك والقضاء على مشاكله، فربما قضيت على المشكلة قبل أن تحدث، وهذا قمة النجاح. كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قطع الشجرة، وحين عزل خالدًا كان يشعر بالمشكلة قبل أن تحدث، فيقطع ماء الحياة عنها رحمه الله ورضي عنه.

٨ ـ أمامك مسئوليتان: مسئوليتك عن الأفراد، ومسئوليتك عن العمل، فلا تجعل حبك للإنجاز يطغى على مسئوليتك عن الأفراد فتهلكهم أو تفقدهم أو تظلمهم، ولا تجعل اهتمامك بالأفراد يطغى على العمل فيفسد العمل ويسوء، فتفشل في إدارتك للعمل.





تمثال الحرية .. في منزلي ! يوم اعتقلت؟

بقلم :خالد العزاوي

كانـت السـاعة قـد جـاوزت الواحدة ليـلاً عندما سمعـت صوت جلبـة وهمهمة استيقظت على إثرها من نومي، ففوجئت بالأمريكان وبعض الجواسيس الملثمين قد داهموا منزلي، وقد جاوز عددهم خمسـة وثلاثين فرداً، كان ذلك ليل الثامن من تشرين الثاني عام 2003، حيث قاموا بتفتيش المنزل وتكسير الأبواب والأثاث بهمجية واستفزاز واضحين، بعد أن حبسونا جميعاً في إحدى غرف المنزل .

وبعد تفتيش استـمر أكثر من أربع ساعات وجد الأمريكان مضخة ماء في حديقة المنـزل، فثارت ثائرتهم وأخـذوا يتكلمون مع بعضهم حـول المضخة، ثم اتصلوا بالضابط المسـؤول الذي كان وقتها خارج المنزل ليأتي بسرعـة ويسـألني بغضب: ((مـن أين لكم هـذا الهاون ؟؟؟ وما سـبب وجوده هنا ؟؟)) فأجبته باسـتغراب : ((هـاون !!! إنه مجرد مضخة ماء يدوية وليـس هاون .!!)) . فقال بإصرار : ((كلا إنه هاون)) . فقلت له)) : إنه مضخة ماء ولكن عتلة الضخ منزوعة منه وهذا هو مكانهـا (وأشـرت إليـه)) . ثم قـال:)) وماحاجتكم اليها ؟)) فأجبتـه : ((قبل الاحتـلال كنا قد حفرنا هذا البئر ((وأشـرت إلى البئـر)) وفي حالة انقطاع الماء فسنقوم باستخدام البئر لسد حاجتنا من الماء)) .

بعـد ذلك قام جنـود الاحتلال بأخذ مضخة الماء وأخذوا سـيارتي وأخذوا أعمدة حديدية ((كانت في الحديقة وعددها 12 عمودا وكنت أنوي أن أعمل منها سقيفة لكراج السيارة))، وأخذوا سلاحي ((الكلاشنكوف عدد 3)) كما أخذوا جهاز لحام كهربائيا وكيسا كبيرا من مسحوق التنظيف ((التايد))، ثم قيدوا والدي وأخذوه وكذلـك فعلـوا مع أخـي ووضعوهـم في شـاحنة أمريكيـة، وعندما جـاء دوري ليقيدونـي نـادى مؤذن الجامع لصـلاة الفجر، فطلبت من الجنـدي الأمريكي أن يمنحـني دقيقتين لأداء صلاة الفجر، فقال لي بأن الرتل في الخارج جاهز للتحرك وليس هناك وقت، ((وكانت هناك أكثر من عشـرين آلية تملأ الشارع وقد شغلوا المحركات والمصابيح استعداداً للأنطلاق)) . فقلت له إن الأمر لا يستغرق أكثر من دقيقتـين . وبعـد أخذ وردّ معـه وافق، علـى أن لا أتجاوز الدقيقتـين، ثم صليت الفجر ، وكان الأمر يشبه إلى حد بعيد هذه الصورة :



بعـد أن أنهيـت صلاتـي قيدني الجنـود الأمريـكان على مـرأى من أهلـي ووالدتي، ووضعونـي بالشـاحنة التي كانت مـلأى بالمعتقلين ((تم اعتقال 45 شـخصاً في تلك الليلـة من منطقتنـا – العامريـة -)) ومن ضمنهـم أبي وأخي، وانطلق الرتل وتوجه بنـا إلى ((قصر السـجود)) واسـتغرق الوقت سـاعة ونصـف مع العلم أن المسـافة لا تتجاوز الـ 20 دقيقة، لكن الأمريكان كان يتعمدون المرور بالشوارع الفرعية للحؤول دون الوقوع تحت ضربات المجاهدين .

وبعـد أن وصلنا إلى هناك وضعونا في محاجر ((أقفاص))، ومنعونا من الكلام مع بعضنا البعض ولم يسـمحوا لنا بالجلوس على الأرض سـوى أربع سـاعات يومياً، وهي سـاعات النوم حيث ننام في السـاعة الـ 12 ليلاً، ولم يعطونا فراشا ولا وسادة ولا غطـاء وكنا نفترش الأرض ونلتحف السـماء، ويوقظونا عند السـاعة الرابعة فجراً ونبقى في وضع الوقوف حتى الساعة الـ 12 ليلاً، ومن يخالف يقوم الأمريكان بوضـع كيس في رأسـه ويقومـون برفـع يديـه إلى الأعلى وربطهـا بالقفص ليجبر المعتقـل على البقاء واقفـاً، وتمتد العقوبة هذه أحياناً إلى 7 سـاعات يفقد خلالها المعتقل الإحسـاس بيـده، وكثير من المعتقلـين كانوا يفقدون الوعـي أو يصابون بالأنهيـار لطول فترة الوقوف التي تصل إلى 20 سـاعة يوميـاً، وفي اليوم التالي بدأ الاستجواب وقام المحقق باستجوابي وكان التهمة: ضرب فندق الرشيد بالصواريخ ((حيث تم ضرب فندق الرشيد ((براجمة محورة)) قبل أيام من اعتقالنا وبـ22 قذيفـة. فأطلعت المحقق على تفاصيل الضربة وقلت لـه أنها عبارة عن عربة ((جنريـتر)) تسـتخدم لحفـر الطرقـات وتزويـد ((الجـك همـر)) بالطاقة وتم تحويرها لتضم 22 قذيفة تم إطلاقها على الفندق. وكنت أعلم من كان في الفندق لحظـة الضربـة حيـث كان فيها المسـؤول الأمريكـي الرفيـع ((وولفويتز)) لكن المحقق عندما سـألني: ومن كان موجوداً في الفنـدق الذي تم ضربه؟ فقلت له: لا أعرف. وكلما استرسـلت بالأمر كلما زاد فضوله وتعطشـه للمعلومات التي زودته بها، وبدا وكأنه قد ضبط الجاني بالجرم المشـهود وسـيحصل على وسـام الشـرف لدوره في القبض على الجناة، وبعد أن أنهيت كلامي سـألني بشـغف وفضول: ومن أين لك بهذه المعلومات ومن كان معك عندما قمت بهذا العمل؟ فأجبته ببرود: لم أقـم بهذا العمل ولا أعرف من قام به؟ فاحمـرت عيناه غضباً. وذهب ذاك البريق الـذي كان يوحي بالنصر والقبض على الجاني. ثم بـادر قائلاً: ومن أين لك بكل هذه المعلومات؟ فأجبته بهدوء: من التلفاز، فقد تم عرض تقرير كامل في التلفاز عـن هذه الحادثة. فبدت علامات الجزع عليه، وقال باسـتفزاز: لدينا عينات من الـ dna الخاص بالجناة، وإذا ثبت تورطك بالأمر فسنقوم بإعدامك. فقلت له: هذا يناسـبني تمامـاً ولكـن هل تعطيني وعـداً بإطلاق سـراحي في حال عـدم ثبوت تورطي في القضية؟ فقال: نعم أعطيك وعداً، وكذب !

في اليـوم التالـي قام محقـق آخـر بالتحقيق معي بحضـور متر جـم لبناني كنت استعين به في الترجمة، لكنني بعد وقت قصير أدركت أن المترجم لا يقوم بالترجمة الحرفيـة، وأحياناً يـراوغ في الترجمـة، فأخذت أتكلم باللغة الأنكليزية وأسـتعين بالمترجـم وقـت الحاجة، ثم سـألني المحقق عـن المضخـة ((الهـاون)): فقلت له باسـتغراب واسـتهجان: أنتم تدّعـون أن لديكم العلماء والخـبراء والمختصين فهل سمعتم يوماً أن سـبطانة الهاون مصنوعة من البلاسـتك، ثـم أين هي الأبرة التي تقـوم برمـي القذيفـة؟ وهنا قال لي المحقـق: لقد وجد الخبراء مـادة الكبريت في سـبطانة الهـاون؟ فقلت له: إنك وبشـتى الطرق تريد إثبـات تورطي في الموضوع وأنـك لم تخبرنـي كيف يمكن لهاون بلاسـتيكي وبدون أبـرة وملحقاتها أن يطلق قذيفـة، ثـم أن هذا الكبريت هـو دليل قاطع على أن هذا الشـيء هـو مضخة ماء يدويـة لأن المـاء المسـتخرج من البئر كان يحوي نسـبة كبيرة مـن الكبريت. فقال المحقـق: بل كنتـم تسـتخدمون الكبريت وغيره من المـواد الكيمياويـة في إطلاق القذائف. قلت له: إما أن يكون خبرائكم أغبياء أو أنكم تـريدون أن تلصقوا التهمة بي لكي تسـكتوا الأفواه التي تطالب باعتقال المسـؤولين عـن الاعتداء على فندق الرشيد، وفي كلتا الحالتين فأنا متهم ومدان؟

فقال لـي المحقـق: إذا اعترفت وأعطيتنا بعض الأسماء فسـنقوم بتسـهيل عملية إطلاق سـراحك، فقلت لـه: أخبرتكم بكل ما لدي، فقال لي: حسـناً ارجع الآن إلى الزنزانة وراجع نفسـك وسـأبقي ملفـك مفتوحا، وفي حالة تغيير رأيك فسـأقوم بمساعدتك. فقلت له: اطمئن ليس لدي ما أخبرك به ولن أغير رأيي فأغلق ملفي



الآن ولا تتعب نفسك معي. فلما رأى مني هذا الجفاء انتفخت أوداجه وعلا صوته وقال بغضب: لدينا أساليب خاصة لنزع الإجابات منك بالقوة، فقلت له: افعلوا ما بدا لكم ((رغم أني كنت أعرف أن هناك في بعض المحاجر القريبة مَن يقومون بانتزاع الإجابات منهم بالقوة، لكن التثبيت من عند الله))، ثم عدت إلى المحجر ولبثت فيه بضعة أيام لأُنقل بعدها إلى سجن أبي غريب ومنه إلى بوكا لأمضي 19 شهراً، وكانت تأتينا استمارات تمديد الحكومية كل ثلاثة أشهر مدون فيها نوع التهمة الموجهة ضد المعتقل، حيث كانت التهمة في الأشهر الثلاثة الأولى تنص على: ((ضرب فندق الرشيد)) وبعد ثلاثة أشهر جاءني تمديد آخر بتهمة أخرى، ألا وهي: ((حيازته هاون 120 ملم)) وعندما قرأت هذه التهمة لم أتمالك نفسي من الضحك لسببين الأول: تغيير نوع التهمة ففي الأولى كانت ضرب الفندق والثانية حيازة هاون، وثانياً : كون المضخة ((الهاون !!)) لم يكن يتجاوز طولها الـ60 سم فكيف يقولون هاون120 ملم، (فقلت لأخوتي في المعتقل ممازحاً يبدو أن الهاون بدأ ينمو)، وكلنا يعلم أن طول الهاون نوع 120ملم يصل إلى 150 سم.



المضخة ويبدو فيها موضع عتلة الضخ المنزوع

وبعد مضي ثلاثة أشهر أخرى جاءتني تهمة أخرى وهي: ((حيازته أسلحة غير قانونية))، والأدهى من ذلك فقد جاءتني بعد ثلاثة أشهر أخرى تهمة طريفة جداً ألا وهي: ((حيازته على أسلحة قانونية!!))، فذهبت إلى أحد الجنود الأمريكان لأخبره عن ديمقراطيتهم التي جاؤونا بها وأطلعته على استمارة التمديد هذه وما تحتويه ؟

ثم انقضت هذه الأشهر الطويلة وأطلق سراحي، وقد أيقنت بحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عِنْدَما رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ}، عدت إلى منزلي وكان البئر يحنُّ إلى المضخة التي أخذها الأمريكان، وكي لا تتكرر التهمة فقد قمت بتغطية فوهة البئر((وقطرها 15 سم تقريباً والتي كان يبرز منها ما مقداره نصف متر من الأنبوب البلاستيكي الذي يصل إلى قعر البئر))، فقمت بتغطيته بقطعة قماش وزرعت فسيلة جنبه للتمويه فبدا وكأنه تمثال الحرية الأمريكي الشهير، وكنت يوما جالساً مع أحد الأخوة في حديقة المنزل فسألني: ما الذي تغطيه بقطعة القماش تلك.

فأجبته بعفوية: إنه تمثال الحرية الأمريكي !!؟؟.



تأمل في أحب الأعمال أدومها

المداومة على العمل مقصد شرعي قال تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ).

يقول الشاطبي: إن المكلف إذا أراد الدخول في عمل غير واجب، فمن حقه أن لا ينظر إلى سهولة الدخول فيه ابتداءً حتى ينظر في مآله فيه ، فإن المشقة تدخل من وجهين :

١- شدة التكليف في نفسه بكثرته أو ثقله في نفسه .

٢- من جهة المداومة عليه وإن كان في نفسه خفيفا .

فالصلاة في نفسها خفيفة فإذا انضم إليها معنى المداومة ثقلت، ولأجل الدخول في الفعل على قصد الاستمرار ، وضعت التكاليف على التوسط، وأسقط الحرج ونهي عن التشديد ،وهذا يشمل التشديد بالدوام كما يشمل التشديد في أنفس الأعمال .



قل لا أحسن، تاب الله عليك

جاء في ترتيب المدارك في ترجمة الإمام محمد بن إسحق أبي بكر رحمه الله ما نصه: حضر يوما مسجدا بأطراف قرطبة، لانتظار جنازة فحان وقت العصر فلم يُؤذَّن لها، فقال لرجل من العامة: يا هذا أخرج فأذن، فإذا به جاهل فتغير لقوله، وقال: ألم تر في المجلس أنحس مني؟ فتبسم القاضي واستغفر الله، وخرج وأذّن، فرجع وصلى بالناس، ثم قال للرجل: قد وجدت أنحس منك، فلا تعد إلى مثل قولك، ولكن قل لا أحسن، تاب الله عليك .

الله بيننا بالمرصاد

جاء في سير النبلاء في ترجمة الإمام العلامة أبي الحسن، علي بن أبي الطيب، عبدالله النيسابوري رحمه الله ما نصه: حُمل إلى السلطان محمود سُبُكتكين ليسمع وعظه، فلما دخل جلس بلا إذن، وأخذ في رواية حديث بلا أمر، فتنمر له السلطان، وأمر غلاما فلكمه لكمة أطرشته، فعرفه بعض الحاضرين منزلته في الدين والعلم، فاعتذر إليه السلطان، وأمر له بمال فامتنع، فقال: يا شيخ، إن للملك صولةً، وهو محتاج إلى السياسة، ورأيت أنك تعديت الواجب، فاجعلني في حل، قال الإمام: الله بيننا بالمرصاد، وإنما أحضرتني للوعظ وسماع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وللخشوع، لا لإقامة قوانين الرئاسة، فخجل السلطان واعتنقه.

الواحة

حكم منظومة

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا
فدعـه ولا تكثر عليه التأسَفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة
وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه
ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
فلا خير فـي ود يجيء تكلفا
ولا خير في خل يخون خليله
ويلقاه من بعد المودة بالجفا



اللهم إني بذلت مجهودي والمنع من غيري

جاء في طبقات الشـافعية للسبكي في ترجمة الإمام الحافظ عثمان السجسـتاني رحمه الله مـا نصـه: إن الأمير محمد بن طاهر حبسـه بنيسـابور مـدة، قـال الحاكم أبـو عبد الله: فـكان يغتسـل كل يـوم جمعـة، ويتأهـب للخروج إلى الجامع ثم يقول للسـجان: أتأذن لـي في الخروج؟ فيقول: لا. فيقول: اللهم إني قد بذلت مجهودي والمنع من غيري.

وصايا في العمل الجماعي

- امنح بقدر ما تأخذ، وتذكر أننا جميعا في قارب واحد.
- يمكـن أن يكون نجـاح الفريق والنجاح الفردي مترادفـين.. إن تحقق ذلك فقد حزت على أفضل نجاح.
- التنظيم مثل السفينة، يجب على كل فرد فيه أن يكون مستعدا لتولي الدفة
- تستغرق مناقشة المسائل التافهة وقتا طويلا، لأن بعضنا يعرف عنها أكثر مما يعرف عن المسائل المهمة.
- إعجاب المرء بنفسه دليل على نقصه.



إن كنت صادقاً حقاً... نفـذ

ناصر الدين محمد الامين

كلمــة "نياجرا" تعني بلغة ســكان أمريــكا الأصليين، الماء الهادر أو المطــر الرعدي. ومن يذهب إلى ذلك المكان يتأكد من أن اســم الشلالات لا يعبر إلا عن الحقيقة.

في 30 يونيو 1959 وقف رجل يدعى "تشارلز بلوندن" على أطراف الشلالات ومعه مدير أعماله، وأمامه جمهور حاشد.

كان "بلوندن" ومســاعدوه قد شــدوا حبلا بعرض الشــلال الذي يزيد عن 300م، وعلى ارتفاع أكثر من 60م، والمتفرجون يترقبون مشــاهدة هذا الإنجاز المحفوف بالموت، التفت "بلوندن" إلى الناس وســأل: "هل تصدقون أنني أســتطيع قطع المســافة بين طرفي الشلال ذهابا وإيابا، على هذا الحبل، وأعود سالما؟".

لم يكن المتفرجون متأكدين أنه يستطيع، لكنهم هتفوا مطالبين أن يفعل، ففعلها "بلوندن" والحبل يتأرجح بقوة مع هبوب الرياح وهطول المطر، فأصيب الجمهور بحالة هستيرية من هول الموقف.

هدّأ "بلوندن" من روعهم ثم قال: "هل تصدقون حقا أنني أســتطيع أن أســير إلى منتصف الحبل، وأدلي هذه السلســلة إلى النهر، وأسحب زجاجة من قارب في الأسفل وأشرب ثم أرمي بها ثانية في النهر؟". فصرخوا جميعا: نعم نصدق. ونفذ الرجل وعده.

ثم صاح فيهم: "وهل تصدقون أيضا أني أستطيع أن أحمل رجلا فوق أكتافي، وأعبر به الحبل ماشيا، وأعود أدراجي، دون أن نسقط في الشلال؟".

صرخت الجماهير – بصوت واحد – كعادتها" نعم نصدق. فابتسم "بلوندن" وقال: رائع جدا!! من منكم سيكون ذلك الرجل!؟.

أطبق الصمت على الجمهور وبدا التوتر على الوجوه، وبدأت ســيقان بعضهم تهتز وكل منهم يتمنى أن لا يختاره "بلوندن". وكما كان متوقعا، فلم يتطوع أحد.

أليس هذا ما يحدث كل يوم؟ تسمع الناس يقولون أنهم يؤمنون بعملهم ومواقفهم وقدراتهم، ولكنهم لا ينفذون. ألم يحن وقت تنفيذ الأفكار والمشاريع التي قلنا بأننا نؤمن بها، فنحن لن ننجز أبدا، ما لم نؤمن حقا.

الرجل الذي استمتع بالرحلة المرعبة على أكتاف "بلوندن" وعبر الشلال كان "هاري كرفت" وهو مدير أعماله.

مــا أصعب مهمة القائد، عليه أن يثبــت أنه يؤمن بقدرات أتباعه، حتى لو كلفه الأمر حياته!!، ومــا أعظم موقف الأتباع حينما يؤمنون بقدرات قائدهم فيطيعونه وينفذون أمره في أحلك الظروف، وعند تخلي الآخرين أو جبنهم.